

سلسلة

عُمار الكون



نقدمها

أوركا للنشر والتوزيع

روايات تتناول مواجهات مع حيوات
غامضة أتت من أكوان متوازية وتداخلت
في عالمنا

زاي

كائن تمدد داخل عالمنا
الكتاب الأول

محمد ايهاب وصفي



صدر من هذه السلسلة

عواء الليل	ذات الأحراس
لم تكن مثلنا	لعنة الخلود
لصوص الفضاء	المشبهوه الغامض
أبناء المجرة	التراث الدامي
جند السليسيارو	صائدة الوجوه
أنت لتنتقم	فخ النيرفانا
الفرعونة الحية	العقرب الأخير
خليج الشيطان	الاستدراج
أنامل بلا بصمات	استدعاء الشر
عبدة إبليس	المدفون الحي

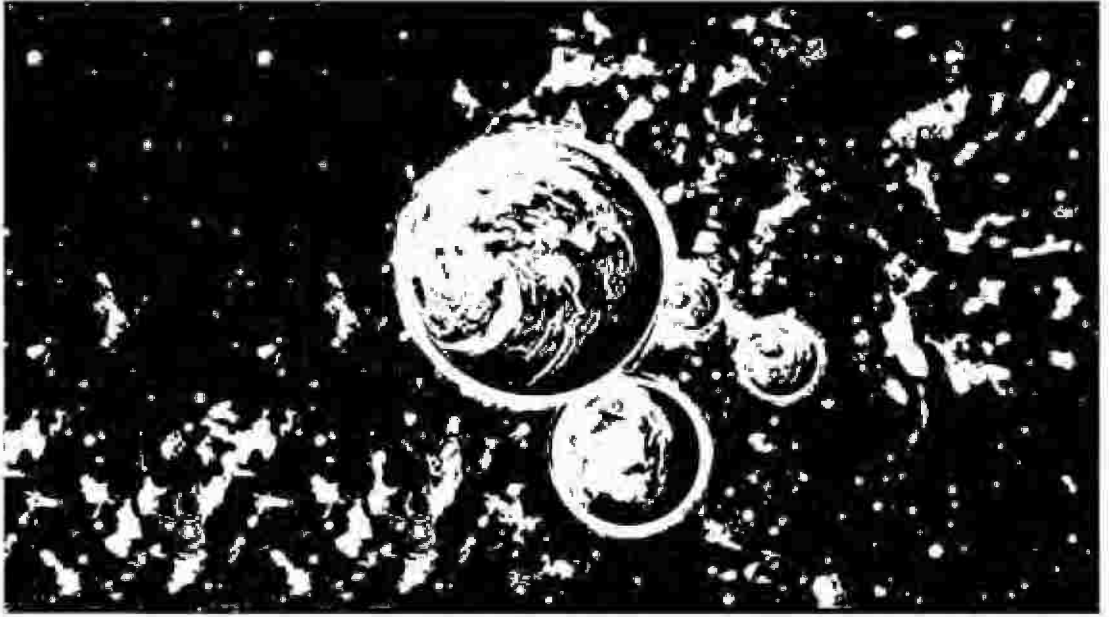
للنشر والتوزيع
محمد أيهاب وصفي

وركاه

orkahouse@gmail.com
01026322448



الأكوان المتوازية



العلم والمعتقدات الدينية أشارت بوضوح إلى فرضية وجود السماوات السبع والأكوان المتعددة أوما يطلق عليه "المالتيفيرز" .. ولن نتطرق إلى النواحي الدينية خوفاً من الإلتجرار لأى شطط

وتتحدث المعلومات المستخلصة عن مرحلة بدائية للانفجار العظيم أن الكون كان عبارة عن حالة غازية .. ثم تكونت الأجرام السماوية بعد ملايين السنين وكانت ذات ضوء عالى الإبهار "مصاييح ودخان"

ولعل أبعد ما اكتشفه العلماء في الكون هو "الكوارزات" وهي أجرام سماوية ذات إضاءة عالية جدا وهي أول نجوم المجرات التي تكونت في الكون بعد الانفجار العظيم والتي ذكرت في الأثر ومشابهة تماما للتي تتأ بها العلماء على مر السنين

وقد أكتشف هذا الإعجاز من قبل وكما قلنا هي أبعد شيء استطعنا التطلع اليه علمياً وفلكياً وفيزيائياً وكيميائياً وحسابياً وبحوثاً فضائية ..

تستنتج من ذلك أن السماء الدنيا فيها كوننا الذي نعيش فيه بينما يحيط بهذا الكون أكوان أكبر وأكبر ففي الدراسة الميكانيكية لثقوب الكون التي تم اجرائها من قبل العالمان الألمانيان "أينشتاين" و"شوارزشيلد" تقول أن الثقب الدودي قد يكون الممر لكون أكبر يحيط بكوننا هذا أو يكمن داخله بعيد عن إحساسنا به .. وله قوانينه الخاصة به في كل شيء ..

المادة تدخل الثقب الأسود وتساقر عبر الثقب الدودي ثم تخرج من خلال الثقب الأبيض أى أن الممر الوحيد للدخول إلى الكون التالي هو السفر عبر ذلك الثقب الدودي الداخلى ..



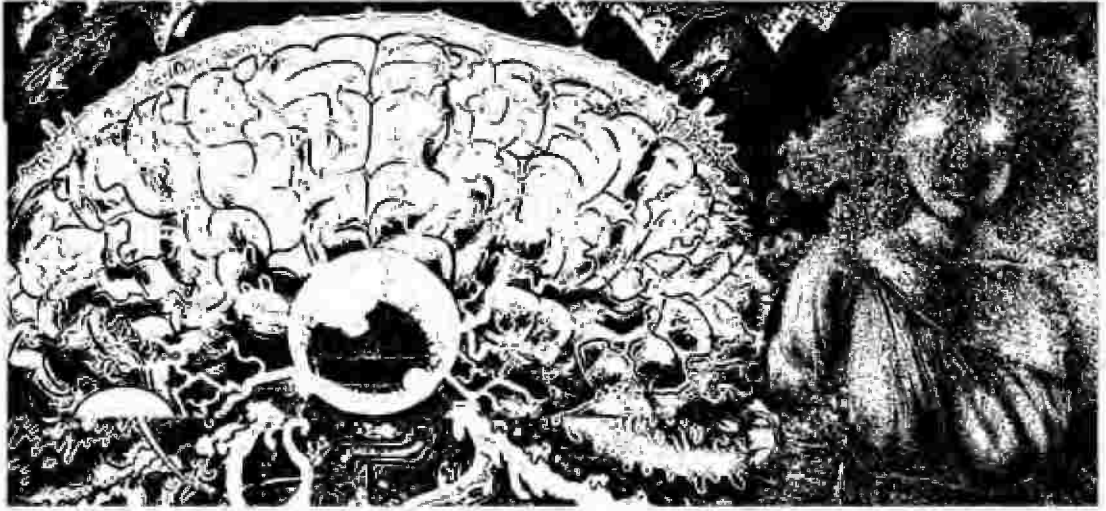
بعض النظريات الفيزيائية كميكانكا الكم ونظرية M ونظرية الأوتار تؤيد فكرة وجود الأكوان المتعددة وتضع عدة نماذج لأكوان افتراضية .. فالإقتراب من الثقب الأسود من ملايين ملايين الكيلومترات محال ذلك أنه يجتذب الكواكب فيمتصها ويفتتها ويغير تركيبها الفيزيائي والكيميائي

وهناك بعض النظريات الراجحة في المؤسسات العلمية المهمة بدراسة تعدد الأكوان المتوازية كنظرية " الكون اللانهائي " ونظرية "عوالم إفرات " ونظرية " الكون التضخمي " ونظرية "الأوتار الفائقة" ونظريات أخرى لا يمكن التحقق من صحتها أو عدم صحتها و الله تعالى أعلم وأحكم

لكن المعتقد القريب يقول أن النموذج الأصح هو كون يحيط به كون آخر وهكذا تم التعبير عن الثقب الدودي على أنه هو "المعارج" التي تنقل من عالم لعالم أو من سماء إلى سماء تم ذكر الثقوب السوداء على أنها الخنس الجوارى الكنس

جميع ما ذكر من تعبيرات في السماء كالمصابيح والنجوم الطارقة والخنس الجوارى الكنس إكتشفها العلماء إلا شيء واحد هو المعارج والعلماء في طبيعة الحال لم يروا الثقوب الدودية وكما نعرف فالثقوب الدودية داخل الثقوب السوداء والعلم لا يعرف بالتحديد سرعة السفر في الثقوب الدودية هل هي كسرعة الضوء أو أسرع .. وعموما هذه مجرد فرضية لا يؤخذ بصحتها وقد تكون خاطئة أو صحيحة أو فيها أخطاء ونسنا متأكدين من شيء والله أعلم بما لا يمكن أن نتخيل أننا به عالمين ..

والسماوات الأخريات لا يمكن لبشر أن يتخيلها أو يعي ماهيتها لكن المعروف أنها محيطه ببعضها البعض .. والأمور الكونية من المستحيل أن يعيها عقل الإنسان لأنها تفوق حدود عقله واستيعابه وخاصة فيما يخص الأكوان الموازية .. قلنا أن تخيل وندرس ما نريد .. لكن من المستحيل أن نقرر واقعاً ..



ولا يعنى هذا نفى عالم الجوف الأرضى أيضاً .. نظرا للأدلة عليها .. وإن كان يظن أن المقصود به العالم السفلى .. وهو عالم لا يقل ثبها عن العالم العلوى .. ويكفى أن نقول أن عالم واحد لا نعرف عنه إلا القليل جداً هو عالم الجن .. ومن لا يعترف بوجوده يكون كاقراً .. فقد ذكر صراحة فى كل الأديان

لا حدود لكلمات الله وقدراته "كن فيكون" فانه سبحانه بإمكانه أن يخلق مثل الكون أكوان عديدة .. وسبحانه يخلق ما لا قدرة لمخلوق على إستيعابه .. فهل خلق كل هذا لتوضع فيه الكرة الأرضية التى لا تساوى نسبياً مثقال جناح بعوضة ... ؟

والحقيقة أننا لا نعلم مم يتألف الكون ولا نعلم إلا القليل عن المواد التى يتكون منها كوننا

نحن نعلم فقط القشور المحيطة بنا والمواد الموجودة بسبب الجاذبية ونتكهن بالتحليل العلمى مما يتألف من النجوم و المجرات و الكواكب التقليدية لكنها بالطبع لا تشكل الوزن الأساسى فى الكون .. فعند دراسة العلم للمجرات كانت الصدمة فوزن النجوم و كمية المادة التى تتألف منها غير كافيتين لتثبيتها فى مجرات بل يجب وجود مادة إضافية ذات وزن هائل فى المجرة مع المادة المنظورة فى النجوم لتثبيتها على شكل مجرات وهذه المادة أسماها العلماء بالمادة المظلمة و هى موجودة داخل المجرة بكميات تساوى آلاف أضعاف كميات المادة المنظورة التى تتكون منها النجوم و الكواكب .

ومن الثابت علمياً أن الكون المرئى المادى يتألف من جزيئات وهذه الجزيئات بدورها تتألف من جزيئات أصغر تتألف من ذرات وعلى هذا المستوى الضئيل هنالك أربع قوى تتحكم فيها

نظرية "الخيوط الفارقة" هى نظرية فيزيائية ترمى إلى تفسير وجود جزيئات وقوى أساسية تشكل و تتحكم بهذا الكون على النسبية العامة التى تفسر خصائص الكون بينما تفسر نظرية "الكوانتوم" خصائص الكون فى شمولية الوضع على أساس ما نعلمه وتهمل المجهول ..

أسطورة "كوكاتريس"



لكل بلد فى العالم كائناتها الأسطورية .. تلك التى يزعم الأجداد أنها كانت موجودة فى يوم ما
ففى أوربا القديمة كانوا يقولون .. أنه فى زمن قديم كان يعيش .. كائن أسطورى رهيب يدعى
"كوكاتريس" أو "بازيليك"

وهو كائن أسطورى يجمع بين ملامح الديك وملامح الثعبان .. وتحكى الأسطورة أن ثعبانا أخذ
بيضة دجاجة ورقد عليها وعندما فقس البيضة خرج منها هذا المخلوق العجيب

وأن "كوكاتريس" يستطيع التحليق فى الفضاء بسهولة وعلى الرغم من صغر حجمه فهو
يستطيع قتل مساحات من النباتات بواسطة أنفاسه النارية ونظراته التى تقتل الكائنات الحية
وهو يعتبر ملك الثعابين .. لكنه لا يتمتع بهذا الملك إذ يموت بمجرد سماعه لصوت الديك ..

ولهذا فهو يعيش فى الصحراء .. وهناك أسطورة تحكى أن "كوكاتريس" مات عندما نظر يوما
إلى ماء النهر وشاهد فى صفحته وجهه البشرى ... شائعة ولكل شائعة أساس من الصحة

المؤلف



نحن الآن فى منتصف عام ١٩٢٠ كانت الشابة الأمريكية "هيلين" ذات الجذور المصرية برفقة والديها فى محافظة "السويس"

تلك الأسرة المغتربة كانت فى زيارة لأقاربهم الذين يعيشون فى منطقة سكنية صغيرة بالقرب من الجبال الواقعة جنوبى غرب السويس .. ذلك الجبل التاريخى ... المسمى جبل "علاقة"

لم تمثل الفتاة للمحاذير المتعارف عليها فقد ذهبت لتستكشف الكهوف ومداخل تلك المناجم المنتشرة فى المنطقة فحظيت باكتشاف مذهل .. كان يقبع فى الأرض فى الجانب الخلفى للنق داخل المنجم القديم المهجور

حيث عثرت على هيكل عظمى بشرى كامل وبقربه عظام يد بارزة من التراب لكنها مشوهة وبروح لم تخل من الشجاعة دأبت تزيل التراب وتحفر حول اليد ..

إلى أن اكتشفت قبراً كان قريباً من السطح يحتوى على بقايا مخلوق أصغر حجماً من الإنسان

والمثير أن جمجمته مشوهة أيضاً كما هى يده .. ثم وجدت هيكل عظمى وجمجمة أخرى كان الشيء المشترك بينهما بعض الكتابات المحفورة عليهما بلغة أثرية غير معروفة

أخذت كلتا الجمجمتين وإصطحبتهما معها إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث احتفظت بهما كتذكار

وربما يكون ما جعلها تحتفظ بالعظام أن كانت كما أوردنا تحمل ما يشبه النقش .. جعلها تظهر كآثر له أهمية ..

لكنها فى النهاية مجرد بقايا ادمية .. وإن كانت ذات مقاسات غريبة بعض الشيء .. وبالطبع أخفت الفتاة تحفتها الغريبة عن الجميع

وساعدها نفوذ والدها الدبلوماسى فى إصطحاب العظام إلى خارج البلاد ... حيث لا زالت الاتفاقيات الدولية تحرم على السلطات تفتيش متاع الدبلوماسيين ..

لكن ما حدث بعد ذلك كان غريباً .. فقد ماتت "هيلين" وأفراد أسرتها اجمعين بعد ثلاث سنوات من عودتهم إلى مستقرهم فى ولاية "جورجيا" بالولايات المتحدة الأمريكية

وذلك أن سقطت بهم طائرتهم المروحية هناك وسط الأحراش .. حينما كانوا فى رحلة خلوية

وقد عثر على جثثهم وقد أنتزع من كل بعض الأعضاء كاملة .. وعظمت الشرطة هذا بأنه قد يكون بفعل جماعات وثنية تقوم بطقوس أكل أجزاء معينة من لحم البشر .. إذ أن الجثث لم تتعرض للنهش .. فيعولون ذلك لفعل الذئاب أو الحيوانات الضارية ..



انتقلت تركة العائلة ومقتنياتها الى "بريجيز ويل" اقرب الأقارب من جهة أم "هيلين" ... وبالتطبع كانت العظام الغربية ضمن المقتنيات فى الصندوق الخاص بحاجيات "هيلين"

ولم تمض سنة حتى عشر على "بريجيز ويل" مقتولا ومقطع الأوصال فى أحد شوارع الولاية الخلفية ... وقيد الحادث ضد مجهول .. فلم يكن للرجل أعداء بالمرّة

ولنعد الى محافظه السويس التى تتكون من ٥ أحياء رئيسية .. حى السويس وهو أقدم الأحياء وتتركز فيه معظم المباني الحكومية ويوجد به ميناء السويس .. وحى الأربعين أكثر الأحياء كثافة سكانية .. وحى فيصل الذى يعتبر من المناطق الجديدة المنفتحة والمتطورة ويضم ضمن نطاقه الأماكن السكنية الجديدة مثل مدينتى السلام والنور ومنطقة عرب المعمل .. ويضم أيضا منطقة الرود الجديدة... وحى الجنين الذى يغلب عليه الطابع الريفى لما يتضمنه من مساحات مزروعة وبه نفق الشهيد أحمد حمدي وهو نقطة الوصل بين مصر وسيناء وما يستتبعه ذلك من زيادة المساحة المزروعة بأرض سيناء.

ثم عدة مناطق جديدة مثل السادات والعبور والإيمان التى سميت تكريما للمجاهدة ايمان التى اشتركت فى المقاومة الشعبية أثناء العدوان الثلاثى على السويس والتي اشتركت حالها حال الرجال فى المقاومة الشعبية فحملت السلاح وقامت بأعمال جليلة وعمليات تدمير لتحصينات العدو

ثم حى عتاقة الذى يمثل التوسع العمرانى والامتداد الطبيعى للمحافظة ويضم بعض الشركات المهمة بالتعدين وميناء الأتكة لصيد الأسماك وميناء الأدبية للشحن والتفريغ

عتاقة هذا لم يمثل للعمران كغيره لوجود الجبل والأرض الصخرية الوعرة .. التى يمتد تاريخها الى قرون من الزمان ...



وتعتبر السويس من البلاد المصرية ذات الجذب السياحي لما تمتاز به من جمال الطبيعة إذ يحتضنها جبل عتاقة من الغرب وخليج السويس وقنار أبو الدرج من الجنوب وقناة السويس من الشرق والبحيرات من الشمال

هي أرض بكر .. خاوية بالنسبة لزماننا لكن ماضيها له أسرار .. ففي عصور سحيقة سكنها من كانوا أشد منا علما وحضارة لكنهم كانوا غير بشريين هذا ما يشاع عنها

وتروي الأساطير أن مجتمعا حضاريا كان قد أقام هنا على الجبل .. وكانوا قد أتوا من السماء ثم إختفوا .. ولا يعلم أحد كيف جاءوا ولا كيف إختفوا

لم يكن لـ "بريجيز ويل" الذي إستلم تركة "هيلين" كآخر فرد في العائلة .. والذي وجد مقتولا ومنزوع الأوصال عائلة بالمعنى المفهوم ..

كان سكيرا ذا علاقات نسائية عديدة .. لذا لم توجد له ورثة خاصة وأن ما تركه كان يسيرا لا يحفز على الطمع

لذا آلت الممتلكات الى أحد أصحابه ويدعى "تشارلز" الذي فتحها وتعجب لروية الهيكل العظمي وكان مصير الهيكل صندوق القمامة ..

بعد ذلك وجد "تشارلز" مشنوقا على أحد الأشجار .. ومقطوع اللسان .. والقدمين لذلك عزي المحققون أنه قد تعرض الى عمل إنتقامي .. وتمثيل بجثته .

خصوصا ان "تشارلز" كان مشهورا بفصاحة اللسان وكان له قدمين كبيرتين ... مشهورتين أيام كان يلعب بنادي البلدية لكرة القدم ... فكان هذا يميزه



ثم إنتقلت العظام إلى رجل أمريكي اشتراهم من مزاد بعد موت "هيلين" بما يقرب من عشر سنوات .. ويبدو أن واحدا من ناكشي القمامة باع الهيكل إلى تاجر بسوق الخردة والأنتيكات احتفظ الأمريكي هذا بالهيكل لمدة خمس سنوات ولم يكن يعرف ماذا يفعل بهم مقترضا أن إحدى الجمجمتين مشوهة بشكل طبيعي ..

لكنه كان قد ترك العظام في شفته طيلة الخمس سنوات نظرا لإعارته للعمل بخارج بلاده وفي اليوم الذي عاد فيه إلى منزله ... تهدم البيت فوق رأسه لسبب غير معلوم ...

انتقلت ملكية العظام من ذلك الرجل إلى زوجين شابين هما "راي" و"ميلان" من ولاية تكساس كانا قد أظهرتا بهم إهتمام ما ..

كانت "ميلان" ممرضة تشرف على عمليات العظام لعدد من السنوات ومن المألوف لها معرفة جميع أنواع التشوهات البشرية

ومن الواضح أن الجمجمة كانت متناظرة بدقة وبشكل يدعو للملاحظة بالمقارنة مع جماجم البشر الطبيعية لكنها أخف نسبيا من حيث الوزن بالمقارنة مع مثيلاتها من الجماجم البشرية المشوهة النموذجية

وبالإضافة إلى خبرة "ميلان" كممرضة كانت هي وزوجها أعضاء في "إيلياسو ميوفون" أو شبكة دراسة ظاهرة الأطباق الطائرة ..

وبعد الفحص الدقيق إتضح أن ملامح الجمجمة وخصائصها الشكلية تتفق مع الخصائص التي رويت عن المخلوقات الفضائية ذات الأجساد الرمادية والتي رواها أناس زعموا أنهم شاهدوها



فصمم كلاهما على إخضاع الجمجمة للفحص العلمي الدقيق وتحديد أصلها الوراثي ولكن مع ذلك كانت لديهم بعض الشكوك من أنها قد تكون فعلا تشوهات عادية

وللتأكد من ذلك إتصلوا بـ "جو نيكلسون" الباحث في أصول الإنسان والذي لديه إصدارات كتب عديدة في ذلك الشأن

وعند مقارنة الجمجمة البشرية للإنسان العادي مع تلك الجماجم الغريبة إتضح أنها بعيدة أن تكون شكل من أشكال التشوه .. ولكن قد تكون شيء موروث عن الوالدين ...

وبتحليل الحمض النووي dna وكلنا يعلم أن مورثاتنا محفوظة كشفرة ثابتة في ذلك الحمض النووي

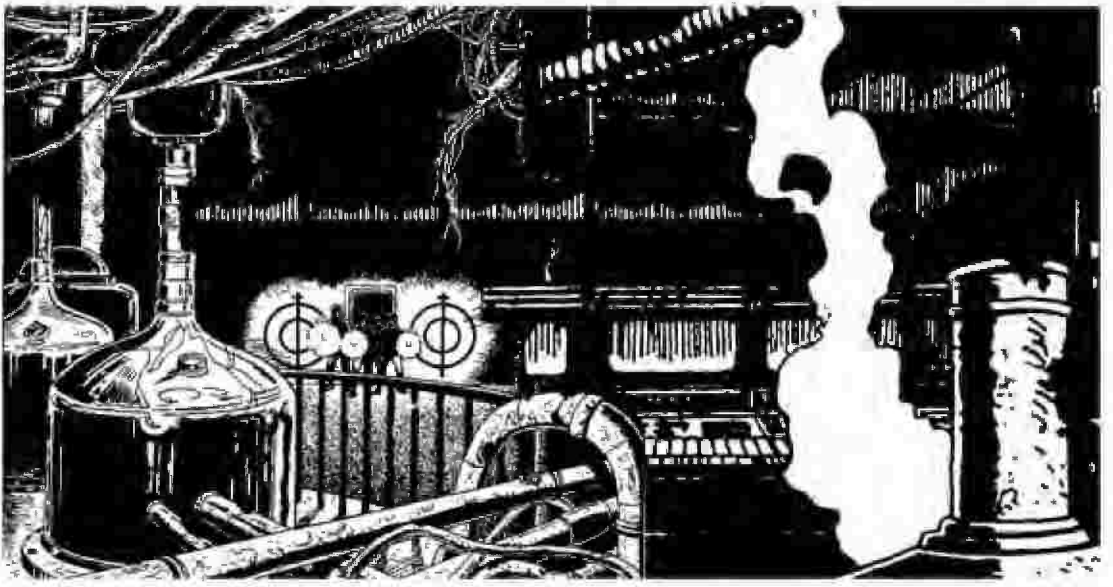
برهنت نتائج التحليل الأولية على أن أم ذلك الطفل صاحب الجمجمة الغريبة هي من البشر ولكن أباه قد يكون من غير البشر إلى درجة ما مع تقارب الصفات الفسيولوجية التي تتيح اندماج التزاوج .. إلا أن الدليل لم يصل إلى الدقة المقبول بها علمياً لكي يتأكد صنف الأب ... أو أن هذه الرفات تخص إنسان عاش في حقبة زمنية غابرة ... تلت لإنسان "نيانديرتال" أحد أنواع جنس "هومو" الذي عاش في العصر الطباشيري منذ حوالي ٣٥٠,٠٠٠ سنة مضت

تلك الحقبة الزمنية التي تعددت فيها فصائل الإنسان نتيجة عدم ثبات اليلازما المكونة للخلايا وانقرض فيها كثير من أصناف حيوات لا نعرف عنها إلا القليل ..

في جميع الأحوال والتخمينات .. هم تحت وطأة مخلوق غير معروف نوعه على وجه التحديد إلا أنه شبيه جداً بالإنسان أو على الأقل ينتمي إلى إحدى فصائله ..

كان هذا هو رأى بعض العلماء هناك .. وقد سعدوا لوجود هذه الحفيرة الفريدة بين أيديهم ..





ولحسن الحظ استطاع الباحث استخدام تقنية جديدة تم تطويرها في الأيام الأخيرة وكانت خاصة بالتحليل الشامل للجينوم الوراثي المسمى بـ "الخريطة الوراثية" وهي دراسة معقدة القواعد

وينتهي هذا التحليل إلى تأكيد المعلومة ويزيل أى شك حول أن المجمعتين هما فعلاً لمخلوقين هجين ناتج من إنسان ومخلوق فضائي ! أو من نتاج مخلوقات فضائية قريبة الشبه بالبشر لكنها مختلفة عنهم .

كل هذا إلى الآن لم يكن غريباً ... الغريب كان في دراسة تاريخ كل من إقتنى العظام .. فقد مات جميع من إقتنى العظام ميتة بشعة .. غير مؤكدة السبب .. ثم فقدان بعض أعضائه التي إجتثت بدون نهش ..

الأغرب أن تحاليل الدوى إن ايه أثبتت أن المجمعتين لمخلوق واحد أو ربما لتوأم ملتصق .. ذابت أعضائه مع بعضها البعض وفقد منها ما فقد نظرا لقدم زمن وجودها .. وإلى هنا بقيت القضية معلقة مغلفة بالألغاز ..

ونعود إلى الجهة التي وجدت فيها الرفات ... قرب جبل عتاقة بالسويس .. وفي أقرب القرى إلى منطقة الحدث .. حيث تسكن "هاجر" الباحثة في علم التداوى بالتعديلات الجينية .. إحدى صور الوراثة الهندسية حيث يتم إحلال الجينات بأخرى وتعديل عمل الإنزيمات والبروتينات المعقدة داخل الأجساد الحية طمعا في إيجاد علاج دوائى للسرطان

ويحمل هذا النوع من العلاج فى طياته إمكانية إحداث طفرات هائلة غير محسوبة النتائج ... نظرا لتعدد التركيبات الطبيعية وتداخلات الكيمياء العضوية ذات التفاعلات غير المنتهية ..

وهذا العلاج ولو كان يبعث على التفاؤل لكنه عملياً من الصعب تنفيذه لأنه يتكون من مجموعة من الأنشطة المعقدة .. ولم ينجح إلى الآن إلا فى قسور الحالات ..



تأبط النهار فلول الليل الأخيرة و بدأ فى نشر جدران الضوء ليزيح فحامة السواد عن القرية
البانسة ذات النفوس المتشحة بالتطاحن والكلل و بقايا دموع المهزومين

صرير الرياح المميت يشق سكون الفجر .. تنن جدران البيوت و كأنها تتلوا لحناً جنازياً
لتأبين جديد .. الجميع هنا لبعضهم كارهون .. أضناهم الكيد لأنفسهم والآخرين .. سعداء بما
يصيب غيرهم من نكبات .. حزاني على بصيص الفرح لو دنا منهم .. السحر والحسد والضغينة
أصبح سمة الناس الغالبة هنا .. الكره والبغضاء والموت سرق الجميع

هذا هو حال القرية الذى آل إليها منذ زمن ليس بقليل .. الود إن ظهر كان زانفا أما الكراهية
فمتأصلة راسخة

حين عاد "الحاج فتحى" إلى بيته كانت الشمس قد بدأت ترسل أشعتها الأولى لتغير شكل القرية
التي ليست عباءة رمادية منذ يومين تقريبا .

فبعد ظهر السبت العاضى هبت عاصفة قوية لم ير ولم يسمع أحد عن مثلها من قبل .. غابت
الشمس واختفت خلف جبل كبير صخوره من السحاب ..

الجميع مستغرقون فى النوم فلم يستطع أحد سوى "الحاج فتحى" أن يلاحظ أن هذه الأشعة
التي بدأت الشمس فى بثها .. لكنها ليست هى الأشعة نفسها التي اعتادها الناس

والحاج "فتحى" رجل مسن غريب الطوية .. لم يعد يسأله الناس لماذا ؟ .. فقد اعتادوا غرابة
تصرفاته وسكونه الدائم .. وتجوله طيلة الليل فى القرية وحيدا .. كثيرون يلجأون له لكتابة
الأعمال ..

دخل غرفة المكتبة وأخرج كتاب الظواهر المستحيلة الذى كان يقول كذبا أنه ورثه عن أباه
الأستاذ "عاكف" مدرس الطبيعة المتوفى منذ ثلاثين عاما ..



أخذ كتابه وجلس قرب النافذة .. المسطحة للبيت العتيق فتحت السلحفاة القابعة على الشباك أعينها فقد أحست بمجيئه ...

تلك السلحفاة "عيثة" التي فقت بيضتها وخرجت إلى الدنيا يوم ولادته لهذا هو يرى فيها أختا له .. لأنها ولدت في اليوم الذي ولد فيه .. وستهما الآن قارب الستين .

كان عليه قبل أن يبدأ القراءة أن يوظف ابنته "هاجر" حتى تعرف أن الشمس قد عادت إلى الظهور بعد يومين من الغياب ... والذي بدأته عندما أحضرت "هاجر" اللقافة الغريبة إلى البيت

لكنه تذكر أن اليوم يوم العطلة الأسبوعية .. فأرجأ إيضاها قليلا ..

لأن "هاجر" نامت ليلتها في غرفتها يملأ قلبها الرعب من ظهور السحابة الرمادية الغريبة التي حجب الشمس

قال الناس أنها من علامات قيام الساعة إذ أن الشمس إمتنعت عن السطوع وتراخت خلف السحاب الكثيف يومان

ولم يكن من الممكن تحديد مكان الشروق .. أمن جهة الشرق أم أنه .. والعياذ بالله من الغرب

لكن الشيخ فضل ألا يثير قزعها مرة أخرى فقد كان لون أشعة الشمس غريب جدا اليوم

قلب صفحات الكتاب بهدوء واضعا السواك بين شفتيه وحين رفع عينيه إلى الجدار المقابل له كان لون الجدار أحمر مثل لون الدم ..

جال ببصره على كل الأشياء فشعر بالخوف للمرة الأولى في حياته ... لقد صبغ شعاع الشمس كل الأشياء باللون الأحمر القاني للحظات



نهض من مكانه فزعا ... وفتح الباب وخرج من البيت لينظر الطرقات الخالية تمتد أمامه قد نبتت لها أذرع وأيدي لها مخالب من الدخان تعانق السحاب في اتجاه قرص الشمس الملتهب كأنها تلتمس منها طقوساً وثنية

استمر هذا الوضع ثوان معدودات ثم عاد كل شئ لطبيعته مرة أخرى ..

أضمر في نفسه ألا يحدث أحداً في الأمر ... لا يريد أن يتهمه أحد بالجنون .. وكفاه إزدراء بعض القرويين الجهلة له .. هو يعلم ما لا يعلمون .. والجهلاء تأخذهم العزة بالجهل وليذهبوا إلى الجحيم بجهلهم ..

لكن الحاج "فتحى" على علمه بحدوث خطب مشار عنه في الكتب الصفراء التي يقتنيها لم يكن ليقتن إلى أن ما حدث .. إنما كان بسبب اللقافة التي أحضرتها معها ابنته "هاجر" منذ يومين

العجيب أن أحداً غير الحاج "فتحى" لم ير ما رآه .. ولم يتحدث أحد في القرية عن شئ كهذا كان يشعر أن ماحدث شاهده قد مر به سابقا .. شعر أيضاً أنه قد رأى تلك الأيدي الدخانية ذات المخالب من قبل .. رغم شكلها العجيب

إختلط عليه الأمر .. أكان مارآه من الغيب .. أم من المستقبل وسوف يشاهده بعد .. إذ أن كل إنسان وله زمنه الخاص به ذلك بالنسبة لخفايا النفس البشرية وأختراقها لحاجب الزمن تحت ظروف تحكم القوى الخفية ..

كان الشيخ ضالعاً بتلك الأمور الغيبية البالغة التعقيد وعاشها نسنين طويلة ..



و"هاجر" فتاة نشيطة تعمل في مجال البحث العلمي .. زاملت "جو نيكلسون" الباحث في أصول الإنسان وتعلمت على يديه ... وكانت قد أخذت العظام بعد أن مات ذلك الأستاذ .. محترقا في معمله .. وبذلك انضم الى قائمة من تعاملوا مع الهيكل المشنوم

كان ل"هاجر" براعة في التعامل مع الحفريات ربما اثارها ما هو موجود داخل اللقافة .. كما كان لمكان سكنها الى جوار جبل عتاقة أيضا أثره ..

لكن دعونا لا نتعجل الاستنتاجات .. فسوف تظهر الأحداث ما يعجز الخيال عن ايجاده

كانت يدا "هاجر" سريعة الحركة مرنة كأنها أكف من هلام رقيق .. تحمل القلم او قطعة الطباشير بين إبهامها وسبابتها لتكتب المعادلات على السبورة او بالقلم على الورق نتائجها البحثية فتبدو كأنها تحمل قلم احمر الشفاه .. رغم أن بحوثها هذه تحمل تلاعبا خطيرا بالجينات والخلايا

فالعالم وإن كان منجيا مرة .. فهو قاتل مرات .. خاصة في مراحل البحث الأولى ..

كانت أكفها الناعمة تربت على حيوانات تجاربها قبل أن تخدرهم استعدادا للموت .. باختصار كانت الأنثى "هاجر" قوية ناعمة

ركن الحاج "فتحي" رأسه الى ضلفة الشياك المفتوح ونطشه التسييم ودفع الشمس .. غفته سنة الكرى .. نام وحلم .

رأى فيما يراه النائم .. قفص طيور مفردة .. رأى نفسه يفتح القفص ويطلق العصفير كلها جاءت السلحفاة "عيسة" فويخته وعضته يفمها المنقاري لقيامه بهذا العمل الشنيع .. فتحول الى عصفور صغير .. صدمت السلحفاة الناقذة بصدفتها ففتحت وهنا خلق عاليا ثم حط على الشجرة امام البيت وبدأ يغنى .



لكن صيادا جاء وأطلق عليه النار فقتله مجرد حلم عادى ... لم يكن فيه غرابة إلا مظهر
الصياد فقد كان ذا رأسين

إنقضى الحاج "فتحى" من غفوته .. فقد كانت عينا الصياد تحمقان به .. شذرا ..

ابتسم وحمد أنه كان مجرد حلم .. ومضى يقلب فى صفحات الكتاب الصفراء ..

كان الكتاب مزيج من العلوم والسحر .. كما هى سمة الكتب التى كتبت منذ قرنين من الزمان

قرأ فى الكتاب صمن عباراته العجيبة .. كلام عام لكنه يحوى معنى .. قرأ :

"أيها البشر الغافلون ستكتشفون علوم و معارف عظيمة أفضل كثيرا من الذهب و المجوهرات
و التماثيل الملقاة بمقابر الفراعين لا نفع منها أكثر من ضررها .."

واستمر يقرأ :

"أما فى مدينة المتجولين التى فى أعماق الأرض والبحار فستجدون السلام و الحب متوازيين
مع العلم و العمل هذا لو تخطيتم حاجز الخوف و توهم العداء منهم ..

قد يكون الموت خير من الحياة .. فلم يعد واحد من الأموات ليخبرنا بكيئونة الموت .."

ظل يقلب الأوراق الصفراء يبحث عن تغير للطقس يشبه ما رآه .. حتى وجد تحت عنوان لعنة
"موتسيا" كلام قريب ..



عدل العجوز فتحي من جلسته على الأريكة الأستائبولي وإرتكز بمرفق ذراعه إلى ثدنة الشباك إلى جواره وسمح ليده أن تداعب رأس سلحفاته العريقة ..

ترك لعقله العنان فإذا به يعيده إل زكريات ماض لا يحب أن يتذكره .. وحيدته هاجر .. الجميلة التي لم يتقدم أحد ليخطب ودها ولن يتقدم .. فالجميع يعرفون حكايتها ..

تذكرها طفلة عمرها ثلاثة أشهر وكان من ينظر إليها يتعجب كل العجب فكل شيء فيها متصلب جامد لا حراك فيه ما عدا رقبته والرأس .. فالذراعان ممتدان والركبتان لا تثنيان ومن يحملها من أي جزء في جسدها ترتفع معه مثل قطعة الخشب

وبينما تحملها والدتها بحنان وإشفاق .. تنهمر دموعها التي لا تجف إلا نادرا .. تحس أنها السبب .. فقد سقطت أثناء حملها في بيت الخلاء و لذلك ولدت الطفلة الطفلة هكذا

حارا بها عند الأطباء الذين إختلفوا في تشخيص الحالة دون الوصول إلى نتيجة وقد أدركت الأم أن أصابها جان عندما سقطت في الحمام ذلك أن أكثرهم يفضل التواجد في الأماكن الخبيثة .

وينطلق لسان حاله ليقول ماذا عساه أن يفعل لابنته الصغيرة و لم يشعر بنفسه إلا و دموعه تنهمر من عينيه حزنا على هذه الطفلة و شقائه تتمنمان " هذا قدر العائلة كلها .. أن يمسسها الجان " كانت هذه هي الحالة الأولى التي يستعين فيها بالجن فقد كان بينهما عهد كما سنعلم آنفا ..

استعد لهم استعدادهم .. قبات لياليه صائما عن الزاد إلا بزييت طيب كما أمروه وفي الليلة السابعة جاءه المنام المرتقب .. وفيه كلمات يقرأها على الطفلة هاجر عند لواح الصباح وفي أول بادرة للمساء

لاحظ أن إيماءات الطفلة تنذر أن بداخلها شيء يتملص ويتوق إلى الخروج .. و بعد انتهاء كلماته أعطى أمها ماء مقروءا عليه و زيتا و طلب منها أن تتجرعه دفعة واحدة كما أمر

ساعتها حدث شيء لم يكن في البال .. تحركت أطراف الطفلة والقدمان و الذراعان حركة طبيعية و كان شيئا لم يكن . و كاد الرجل يطير من الفرح

نظر إلى الطفلة الراقدة في حجر أمها وهو يقوم بقراءة الكلمات مخاطبا الجنى الذي يتلبسها فإذا بالطفلة تهز رأسها يمينا و يسارا و كأنها تقول كلمة النفى "لا..لا.." فايقن أن ما كان يتوقعه صحيحا .. واستمر شاحذا كل همته .. يقرأ خرعلاته و يضربها على يدها ضربا خفيفا فيسمع صوت نحيب غريب لم يكن عقب الضربة مباشرة و لكن بعدها بالحظات فقام بزجرها أي ذلك الجنى الموجود فيها أمرا إياه بالخروج .. لكن الطفلة كانت تفتح عينها بعد كل أمر و تهز رأسها بالنفى و كأنها تريد أن تتكلم حتى صرخت وتحركت حركة طبيعية في حجر أمها

فرح الرجل بشقاء ابنته وأمسك بكتفى زوجته يهنئها .. لكنها لم ترد فقد ماتت الأم لتوها



لعنة "موتسيا" وذلك ان كانا تحدى قومه الأشداء وأحب أنسية من البشر فحكم عليه بالمكوث
بيتهم الى أبد الدهر ..

وقومه هؤلاء من أشد المعادين للبشر .. وتصحب تنقلات الكائن المدعو "زاي" تغير في لون
الشمس على المنطقة التى يعاود الظهور فيها مولودا بعد موت إذ تمر من خلال روحه الأئمة

ثم كان بالكتاب مجموعة من الخزعات التى اشتهرت فى تلك الحقبة الزمنية التى كتب فيها

توجس الحاج "فتحى" أن تكون روح "زاي" هذا فى المنطقة المحيطة لكنه لم يكن ليتصور
ابدا .. أن "زاي" فى حجرة ابنته "هاجر"

وأن اللقافة التى أتت بها من عملها لم تكن تحتوى الا على عظام الوحش "زاي" الذى ينبثق
من العدم كل حين

الساعة قد قاربت الثانية عشر .. وأصبح الوقت يربو الى المساء منه الى الصباح .. قام الرجل
من مجلسه ففتح حجرة ابنته ليوقظها فليس من عادتها التأخر فى النوم حتى فى أيام العطلات

تهيا لناظريه أن اللقافة الموضوعه على مكتبها قد اهتزت .. ولم يلق بالآ لأمر .. فلا يمكن
ان يحدث هذا طبيعيا وعوله إلى إرتطام الباب بالجدار .. أو أنه قد تخيل حدوث هذا ..

هز ابنته هزة خفيفة .. ولم تستيقظ ... هزها مرة أخرى ثم كررها بعنف كان جسدها هادى
أكثر مما يتبقى .. لكن الابنة إستيقظت .. وتساءبت قائلة ... كنت أحلم يا أبته ..

اللوعة التى قالت بها البنت كلمتها .. أفشت مكنونا لديها ...

افترقاه عن ابتسامه بلهاء .. ضحك الوالد المحنك .. فهو يعلم معنى هذا ... لقد كانت تحلم
أحلام الفتيات فى سنها ..

لا شك أنه فارس الأحلام على حصانه الأبيض .. ولا شك أنه اوقظها قبل ختام اللقاء .. بالقبلة

ما أسعده من فارس ... يجول فى أحلام المراهقات من قديم الأزل .. لا يستثنى منهن يتنا ...

عادت الشمس الى طبيعتها الرتيبة توازر كسل يوم العطلة الأسبوعية الحبيب لكل ذا عمل ..
وتلبست القرية لباس الخمول .. لازالت شوارعها الضيقة خاوية من البشر الا القليل منهم ..

فرن الخبز وبانع القول والطعمية فقط من لا يعرفون بذلك اليوم فى تقويمهم الخاص .. أما
البقية .. فيتنعمون بالكسل اللذيذ .. حتى الفلاحين إتخذوا ذلك اليوم عيدا أسبوعيا على
شاكلة أهل المدن ..

لم تكن الليلة الفاتنة ككل الليلات .. ولم يكن الأمر غريباً فقط بل أكثر من مرعب .. الأعجب أن أهالي القرية لا يتحدثون في هذا .. وهم الذين يصنعون من الحبة قبة .. كانوا كالمؤمنين مغناطيسيا

سمعوا أصوات الغربان تقترب وكانت اصواتها البشعة بذلك النعيق تتجاوب بين قمم جبل عتاقة دلالة على كثرة عددهم ..

مالذى يحدث بالضبط فى هذا الجبل .. ماهذه الأحداث الغريبة .. كانت أفكار غريبه تدور فى رأس هاجر بسرعة البرق

أصوات الغربان تنبئ بحدوث حدث غير عادى ..

هذه الجلبه اللتى تحدث لم تحدث من قبل .. هى شىء غير مألوف .. شىء يبعث إحساس قمىء فى أعماق النفوس ... فى ذلك الجزء المظلم من الذاكره .. لم يكن الصوت مجرد صوت ... انه ينفذ من الأذن إلى العقل مباشرة فيمخر فيه ... حتى لو سدت الأذان بالأيدى ..

اصدمت الغربان بنافذة حجرة "هاجر" بالذات عدة مرات .. وكان هنا هدفها .. ظننت "هاجر" أن الغربان تصطدم بالنوافذ الأخرى أيضا .. لكنه كان حدثا خاصا ..

نامت ليلتها .. ولم تربط بين السحابة الرمادية الغريبة التى غطت القرية ونعيق الغربان ... ولفتها التى تحوى العظام الأثرية ..



وتبقى تلك الرفات الغربية التي وصلت إلى غرفة "هاجر" بعد سلسلة من المآسى التي حدثت لمن إقتنوها .. الفارق الوحيد أنهم أخذوها من السويس .. أما الآن فقد عادت إلى مستقرها

وربما كانت القاعدة العامة أن تسعى الحياة صوب الموت .. لكن الموت أبداً لا يسعى صوب الحياة .. هذا بالنسبة لما هو محسوس في الحياة الأولى التي نعيشها .. اللهم إلا في حالتنا هذه

وعلاقة الحي بالميت هي علاقة تتم على أسس وقواعد ... فالحي يعطي الميت يتغسله وتكفنه وتشييعه ودفنه والدعاء له ... أما الميت فلا يعطي شيئا .. فهو منعدم الحيلة .. لكن المعتقدات الروحانية تؤكد أن الميت يسمع ويعي رغم زوال عقله ولا يتدخل في أحداث الدنيا التي إنقل منها .. إما لعدم قدرته .. أو لانعدام رغبته .. لا نعرف .. فلم يحدث وأن عاد أحدهم إلينا ليخبرنا .. وعلاقة الجسد والنفس والروح بالموكلون والأكوان الأخرى علاقات بالغة التعقيد لا إسناد فيها ولا سند .. لذا لا ينبغي الخوض فيها .. لكن من الممكن الخوض في الظواهر المصاحبة التي حكى عنها .. أو حضرها البعض .. وليعطى كل تفسيره حسبما يرى ..

والعظام هي آخر ما يبلى من الجسد .. وتحمل جينات ومكونات وأسرار تدل على صاحبها ولو مرت مئات الأعوام ... ويقال أن أول ما يبلى هو البطن .. وآخره الجمجمة .. ويقولون العصص وهو نهاية العمود الفقري يبقى أبداً ويكون صغيراً جداً في حجم حبة القمح .. وهناك خلية واحدة لا تبلى كما يبلى بقية الجسد .. وإن كان هناك من الشطط العلمي من يقول أنه من الممكن استثمارها بالانقسام .. مخرفون .. مجانيين .. كفرة .. لكننا لا ننكر بعض المعجزات .. كحالة النعجة "دوللي" التي أنتجوها بالانقسام وليس التزاوج .. فتم استنساخها في معهد "روزلين" في جامعة "إدنبرة" في "أسكتلندا" يا إنجلترا



ولكن ماكان محيراً هو تحرك هذا الفريق من الغربان فى الليل وهى ليست من الطيور الليلية
فذلك شئ غريب كان يثير الرعب فى نفسها حاولت أن تخترق جدار الصمت الذى أرتفع
أصطنعت ضحكة وأدارت مفتاح المزياغ .. لكن صوتاً لم يخرج منه .. إزداد قلقها .. فهى تعلم
أن الظواهر الكونية الغريبة تشوش على الموجات اللاسلكية القصيرة التى منها موجات الإذاعة

أخرجت زفرة عصبية زادت توتر ... فقد سمعت عواء بعيداً .. هناك ذئاب تجمعت فى الجبل
لا بد أنها هى التى أزجعت الغربان أو ربما ثعابين .. كان تحليلاً منطقياً فى أعماقها .. لكنها
لم تقنع به

"القرية هادئة الليلة" تلك الكلمات التى خرجت من فم أبيها بعثت ببعض الطمأنينة فى نفسها
وشقت الصمت الذى كان معقوداً .. مشيت وأوت إلى سريرها

أنطلق صوت عالٍ من خارج المكان جمد الدماء فى العروق ... صوت بشرى جلى واضح ...
لكنه بعيد جداً .. صوت رجل يصرخ وكأنها صرخته الأخيرة .. جاء الصوت من صوب الجبل

غابت خوفها فما يجرى عليهم يجرى على غيرهم فى القرية كلها وسكنت تحت الغطاء .. لكن
النوم لم يأت بعد .. تذكرت الحكايات التى كان يحكيها لها أباهما .. حوادث قبل النوم وإبتسمت
هائنة .. كم كان خيال الرجل متطرفاً ..
كان يقول فى حكاياته الغريبة لها :

أن لكل عائلة كائن سحري يمنحها قوته ويخدمها .. وكان التنبؤ هو خادم عائلتنا وكانت تقول
فى بلاهة الأطفال : وكيف سيتصل بنا .. فيقول : ستحصلين يوماً على بيضة الثنين الخاص
بك و سوف تفقس البيضة فى ساعتها فور أن تلمسيها ليكون ذلك الثنين رفيقك حتى الموت
يمنحك قوته .. وسوف تصبحان فرداً واحداً ... وتتساءل هاجر فى رعب : وهل سيرافقنى إلى
الأبد .. فيقول : لا سيكون فى عالمه الخاص لكنك تستطيعين أن تنادى عليه فيأتى إليك مهما
كان بعيداً فهو جزء منك وأنت جزء منه ..





عندما حل أوان عصر اليوم .. كانت بالمنطقة ثلاث سرادقات للعزاء .. مات ثلاثة .. ولم يكن هذا هو الغريب في الأمر ..

بل أن الغريب .. كان موت الثلاثة في حوادث لا تتكرر كثيراً .. انفجار أنبوبة الغاز وسقوط من على سطح المنزل .. والأخير هوى في بالوعة مفتوحة ..

الثلاثة حوادث نتج عنها كسور وجروح وتشوهات .. لم يلق أحد بالاً لنقص أعضاء من داخل أجسامهم .. فقد أصيب الثلاثة بجروح غائرة بالبطن والصدر والرأس ..

مصادفات قد تحدث .. نعم .. لكن في لحظة واحدة فلا !!!

في اليوم الثاني قررت "هاجر" أن تبدأ عملها في قحص محتويات لفاقتها فانتهزت عدم وجود أباها بالبيت .. إذ أنه لا يحب رؤية أبحاثها من ذلك النوع .

فكت اللقافة .. وأصابتها الرعدة .. كان الهيكل العظمي قد قام برص أجزاءه في أماكنها .. ووضع بداخلها بعض من أجزاء حية .. بدأت في الالتئام بالعظم

العيون .. اللسان .. الأنف .. الكلية .. المعدة .. بعض اللحم المتهدل لكن الالتئام لم يكن كالواقع .. إنما كان أشبه بالذويان في العظام ... أو التخلل إلى داخله ... أحست للوهلة الأولى بضرورة التخلص من هذا الشيء الغريب المخيف .. لكن

سمعت صوت يحدثها من اتجاه الصوان .. فنظرت لتري طيفاً أسود غير محدد الملامح .. كان هو من يكلمها

تمالكت جاشها وأمعت النظر .. كان الطيف ممثلاً لشكل العظام المرصوصة على المنضدة ..

قال الطيف الأسود : ساعدنلى لأصنع جسدى وإياك أن تخبرى أحد

بدأ الشبح يتجلى شينا فشيناً .. فيظهر من العدم .. كانن فقطيع يشبه الإنسان لكنه كان مسخاً
ذا راسين .. جمجمة تخرج منها أخرى خلفية ..

كان هيكل عظمى ذا عيون مخيفة .. أشبه بعيون النسر!! لكنها رمادية شاحبة اللون .. كأنها
تحوى قصة مفجعة ..

ناهيك عن بقايا العظام التى كانت يوم ما جناحين كبيرين .. نعم .. جناحين كاجنحة الوطاويط

حينما نظرت "هاجر" إليه وتاملت خلقته شعرت بالدم يتجمد فى عروقها .. وإلتصبا شعرها رعباً

تهدل من جسد المسخ لحم طازج .. أعضاء بترت من أجسام مختلفة كان كل هذا أشبه بصورة
مشوشة وليس جسداً حقيقياً ..

فهمت المتخصصة فى دراسة الأحياء .. أن تلك الأعضاء قد إنتزعت من حديثى الوفاة .. لا شك
أنهم من ماتوا من أهل المنطقة اليوم ..

كان على "هاجر" أن تتوخى الحذر .. كل الحذر .. فهى تتعامل مع كانن فقطيع لا تعلم كنهه ..
أو مداه ..

ومرت أيام .. جمعتهما فيها غرفتها .. لم تخبر حتى والدها بالأمر المريب .. أحضرت للمسوخ
بعض المحاليل والمواد العضوية التى طلبها .. وقامت بصيها فى الأماكن التى كان يخبرها بها
كانت تفهم ما يريد بصعوبة فاللغات مختلفة .. لكن ذلك انشأ ما يشبه العلاقة الودودية بينهما
.. فهم يتكلمان كثيراً ويحاولان فهم بعضهما

استسلم المخلوق الناقص ليديها .. ثم تطرق الأمر لبعض الأسلحة وتبادل المعلومات ..
ووصل إلى حد أن المخلوق كان أحياناً يبتسم .. أو هكذا خيل إليها ..

أفهمته أن ما يقوم به ما هو الا قتل مشين .. ورد باقتضاب :

أنا لا أقتل إلا من يستحقون وبالطبع لم تأخذ كلماته موضع التصديق .. فالقتل قتل .. وهو
جريمة لا تغفر فى أى حالة وتحت أى ظرف .

لكنها تتبعت سيرة أبناء قرينتها الثلاث الذين قتلهم المسوخ واستولى على أجزاء من أجسادهم

وهالها أن اكتشفت تاريخهم السى واشتياهم بجرائم أقل ما توصف بها الخسة والوضاعة ..
قتل واغتصاب وإحداث عاهات بغيرهم ..

الكانن يريد بناء جسمه من أجساد البشر ... لكنه فى هذا يختار ... أجزاء صحيحة ومن
أشخاص يستحقون الموت ..





دفعها هذا للتأكد من تاريخ كل من إقتنوا الهيكل العظمى ... الواحد قبل الآخر ... وأثناء ذلك عرفت من قصاصات الصحف المحفوظة بمكتبة الأنجلو ساكسون أن "هيلين" فقط هي التي لم ترتكب جرائم اللهم إلا أنها سرقت الهيكل من مكانه الأزلي وسافرت به إلى أمريكا ..

وقرات في مدونات استاذها العالم قبل أن يحترق معمله :
كانت هذه ظاهرة من أكثر الظواهر غموضاً وتعقيداً وذلك على الرغم من إجماع الباحثين على أنها أحداث حقيقية .. وإن عجزوا تماماً عن إيجاد أى تفسير أو حتى نظرية بشأنها وأمر كهذا نادر جداً في أمور ما وراء الطبيعة

وفي مكتبة "الأنجلو ساكسون" قرأت "هاجر" أيضاً ..
في الثاني عشر من نوفمبر عام ١٩٦٦ بمدينة "بوينت بليزنت" في ولاية غرب "فرجينيا" الأمريكية جرت حادثة غريبة قد لا يصدقها البعض في البداية لأنها لا تستند إلى أى دليل سوى رواية أحد سكان المدينة وهو "نيويل بارثريدج"

فبينما كان "نيويل" في منزله يشاهد التلفاز في العاشرة والنصف مساءً انقطع الإرسال بغتة وأصبحت الشاشة معتممة تماماً دون سبب واضح

وقبل أن يستوعب ما حدث سمع فجأة نباح كئيبه الشديد وبشكل يوحي أن هناك شخصاً مجهولاً يقترب من المنزل

خرج "نيويل" بمصباح كشافه المنير لاستطلاع الأمر ليجد كئيبه ينبح بجنون متجهاً ناحية المخزن التابع للمنزل

وعندما وجه الكشاف نحو المخزن رأى شيئاً غريباً لا يصدق

إذ كان يقف في جانب مظلم مخلوق لونه رمادي أو أدهم يشبه الإنسان بهيئته الخارجية إلا أنه أكبر حجماً .. إذ يصل طوله إلى سبعة أقدام تقريباً وله جناحان كبيران منثنيان خلف ظهره وساقاه غير واضحتي المعالم وكانت ملامح أوجه غير ظاهرة على الإطلاق سوى شيء واحد هو أشد ما لفت انتباه "نيويل" كان له رأسان .. وكان لذلك المخلوق عيون بالغتا الدراسة في كل رأس ..

تلك العيون كانت تسبب الإثابة تماماً وتنفذ إلى صميم النفس .. تحقق فيه بشكل جمد انهم بعروقه وكان المخلوق يصدر صوتاً غريباً يشبه الأتئين أو النحيب !!

هذا الأمر إستفز الكلب كثيراً فهجم مطارداً ذلك الشيء حيثما هم بالمغادرة غير مبال بصراخ صاحبه الذي كان يطالبه بالعودة

إلا أن "نيويل" التفت أنفاسه ودخل إلى المنزل لإحضار مسدسه لكنه وبعد دخوله إلى المنزل تاركاً الكلب بالخارج شعر بأنه من الحماسة أن يخرج لمواجهة ذلك المخلوق حتى وإن كان يحمل مسدساً

فقام بغلق الأبواب والنوافذ وبات تلك الليلة والمسدس بيده من شدة الرعب

وفي الصباح فوجئ بأن كلبه قد إختفى تماماً ولم يعد بعدها على الإطلاق فشعر بحيرة بالغة مما يجب عمله .. إذ كان واثقاً من أن أحداً لن يصدق ما حدث له في تلك الليلة ..

إلا أنه قد صدم تماماً عندما قرأ في الجريدة خبراً مفاده أن أكثر من ثمانية أشخاص قد إدعوا مشاهدتهم لذلك المخلوق الغريب في أماكن متفرقة

فقد شوهد بالقرب من مصنع ومستودع المتفجرات المهجور الموجود بالقرب من المدينة على ضفة النهر!!....

وقد تعرض ذلك المصنع إلى حادث مروع فيما بعد وكان هناك العديد من القتلى ..

وتوات بعدھا المشاهدات بشكل كبير أثار جنون رجال الشرطة الذين لم يهدأ هاتفهم على الإطلاق وجميعهم يشعرون بدهشة بالغة عن تلك الأوصاف العجيبة التي أدلى بها من شاهد ذلك المخلوق

وأشهر تلك المشاهدات حادثة السيدة "بيثيث" التي شاهدت ذلك المخلوق عندما نزلت من سيارتها لزيارة منزل أصدقائها أفراد عائلة "توماس"

فقد ظهر لها بشكل مفاجئ وكأنه خرج من جوف الأرض .. الأمر الذي أصابها برعب هائل فركضت ناحية منزل عائلة "توماس" وهي تصرخ بجنون طائبة منهم النجدة ..

كان هناك مخلوق يشبه الإنسان ذا جناحين يقف عند باب المخزن .. ولكن في حجم أكبر من حجم الرجل العادي كان في عموم هيئته يشبه بجناحيه حشرة عث عملاقة ..

وقى خلال ذلك العام توالى زيارات عشرات الباحثين والصحفيين لتلك المدينة لكشف سر ما اسموه برجل العث أبرزهم على الإطلاق كان الكاتب الصحفي الشهير "جاك كييل" الذى تعمق كثيرا فى الظواهر الخارقة وكتب الكثير عنها وإن كان غير مصدق لمعظمها

وقد وصل "جاك كييل" إلى مدينة "بوينت بليزنت" فى ديسمبر عام ١٩٦٦ .. وهناك قام بتحريات واسعة والتقى بعشرات الناس بعضهم من رجال الشرطة الذين ادعوا مشاهدتهم لذلك المخلوق المسمى "رجل العث"

وتبين له من خلال التقارير أن هناك أيضا مشاهدات كثيرة جدا للأطباق الطائرة فى تلك المدينة بلغ عددها أكثر من خمسمائة حالة مع وجود ظواهر أخرى ليس لها أي تفسير كإلحاق الإرسال التلفزيونى والإذاعي أو التيار الكهربائى دون أي سبب واضح

يل ووصلت تقارير إلى "جاك كييل" عن رؤية أشباح فى تلك المدينة .. إذ ادعى الكثيرون أن أبواب منازلهم كانت تغلق وتفتح دون سبب واضح فى حين تسمع أصوات غريبة فى منازل أخرى حتى أن بعض الأسر قد تركت منازلها من شدة الخوف منهم أفراد عائلة "جيمس ليللى" الذين تركوا منزلهم من شدة الخوف

ولم يكن هذا كل شيء فقد أشارت تقارير الشرطة إلى مشاهدات عديدة لأضواء حمراء غريبة للغاية تتحرك بشكل عشوائى فى السماء وبالقرب من مصنع مهجور للمتفجرات يقع على مشارف المدينة .. وأشد ما أثار انتباه "جاك كييل" هو الشعور العام بالخوف والتوتر الذى كان سائدا بين الأهالى بسبب ما يحدث فى مدينتهم من ظواهر غريبة ليس لها أي تفسير ..

وطوال عام كامل راح "جاك كييل" يدرس كل التقارير التى جمعها وهو مقتنع تماما أن كل هذه المشاهدات مرتبطة ببعضها بطريقة أو بأخرى إلى أن حدث أمر آخر فقد لوحظ أن عدد مشاهدات "رجل العث" قد انحسرت كثيرا وإنتهت بشكل مفاجئ فى عام ١٩٦٧ ولم تعد ترد أى تقارير إلى الشرطة تفيد برويته

ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد فبعد أيام قليلة وبالتحديد فى الخامس عشر من ديسمبر من عام ١٩٦٧ حدثت واحدة من أشهر وأغرب الكوارث فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية عندما انهار الجسر الذى يربط بين ولاية "أوهايو" و"بوينت بليزنت" دون أي سبب واضح ومات بتلك الحادثة ستة وأربعون شخصا إثنان منهم لم يتم العثور على جثثيهما على الإطلاق

والغريب أنه قبل انهيار الجسر شوهدت بالقرب منه أضواء غريبة مجهولة المصدر كانت تتحرك بشكل عشوائى .. وعيّن حاول المهندسين معرفة سبب انهيار ذلك الجسر إلا أنهم عجزوا عن ذلك تماما وكان الجسر قد انهار بفعل قوة خفية مجهولة!!



وعندما فتحوها لها الباب شاهدوا جميعا ذلك المخلوق واقفا بهدوء مثير وكأنه لا يبالي بما يحدث فأصيبوا جميعهم بخوف شديد وأغلقوا النوافذ والأبواب وإتصلوا برجل الشرطة الذين عندما حضروا كان ذلك المخلوق قد إختفى تماما ..

وقد أصيبت السيدة "بينيت" بعدها بإضطرابات نفسية شديدة من هول ما رأت وخضعت لعلاج نفسي إستمر لعدة شهور ذكر خلالها الطبيب الذى أشرف على علاجها أنها قد مرت بصدمة عثيفة أكرت على حالتها النفسية بشكل كبير جدا.

وخلال عام واحد فقط شوهد ذلك المخلوق مائة مرة تقريبا ومن قبل عشرات الأشخاص وفى حالات كثيرة كانت المشاهدات تتم بوجود مجموعة كبيرة من الناس .

وفى خلال ذلك العام توافدت الزيارات من قبل العديد من الباحثين والصحفيين لتلك المدينة لكشف سر المخلوق المريع

كذلك صاحب ذلك الظهور تغيرات غريبة فى المناخ العام .. وتكاثف الضباب فى غير مواعده وإختلاف لون أشعة الشمس دون سبب يستطيع رجال الأرصاد الجوية قوله ..

وقد قال بعض من شاهدوه عن قرب أنه ليس مخلوق ... بل مخلوقة فهي فى الأغلب أنثى .. لما يتضح من علامات الجسد بينما أكد البعض أنه تكوين رجل مفتول العضلات ..

وقد صدر تقرير مطول ومفصل حفظ فى وكالة "ناسا" لعلوم الفضاء والذى تحدث عن تلك القضية ذاتها بالتفصيل مع ذكر الكثير من الحقائق المتعلقة بها - وكالة ناسا المشهورة بأخفاء الحقائق لعدم إثارة الرأى العام -

وتبقى حقيقة الأمر برمته مغطا ... فى علم الغيب



وبعد أسبوع من تلك الحادثة تلقت الصحفية "ميري هاير" زيارة في مكتبها من قبل شخص مجهول له ملامح شبيهة نوعا ما بالملامح الآسيوية وقد كان يتحدث بلهجة غريبة غير أمريكية ولا تشبه أى لهجة معروفة !! وكان متلهفا لمعرفة معلومات عن الأطباق الطائرة ولم يسألها أى سؤال يتعلق بحادثة انهيار الجسر التى كانت حديث الساعة فى ذلك الوقت ..

ولكن "ميري" لم تعط ذلك الرجل أى اهتمام لإنشغالها الشديد فى دراسة أسباب حادث انهيار الجسر .. وإن لم يفتها أن تستغرب من لهجته .. وفى نفس الليلة زار نفس الرجل العشرات من أهل المدينة الذين ادعوا سابقا مشاهدتهم لأطباق طائرة وطلب من كل منهم ما لديهم من معلومات عن الأمر

وكان يدعى أنه صحفياً يسعى لجمع المعلومات المتعلقة بالأطباق الطائرة وبعدها اختفى ذلك الرجل تماما ولم يظهر له أى اثر وقد تراجع كل من قال أنه رأى أطباقا طائرة عن قوله لكنهم ذكروا أن ذلك الشخص المجهول قد زارهم وأنه قد ترك لديهم إطبعا منقرا وأشعرهم بالخوف

انتهى بعد ذلك مسلسل الحوادث الغريبة التى حدثت فى "بوينت بليزنت" ولا شك أن هناك أمورا كثيرة جداً لا يوجد لها أى تفسير فما هو "رجل العث" هذا ؟ وما هو سبب تلك الإضاءة الغريبة التى رآها الناس بالقرب من مصنع المتفجرات ؟ ولماذا كثرت مشاهدات الأجسام الطائرة فى تلك المدينة ؟ .. ولماذا كثرت التقارير التى تفيد بوجود أشباح فى بعض منازل القرية ؟! ولماذا انقطع التيار الكهربائى فى كثير من الأحيان دون سبب واضح ؟! ثم لماذا تراجع الأهالى فجأة عن ذكرهم مشاهدات للأجسام الطائرة وكأنها مسحت من ذاكرتهم ... أسئلة كثيرة تبقى حتى يومنا هذا دون إجابة.

كما إتضح من خلال الدراسات أن مشاهدات "رجل العث" هذا قديمة جدا وحدثت قبل ذلك فى أماكن متفرقة من العالم إلا أنها لم تجد طريقها إلى وسائل الإعلام إلا بعد حوادث مدينة "بوينت بليزنت" وإن صاحبها غموض وتشعبات كثيرة ما زالت تحير الباحثين

الأهم من كل ذلك ما لاحظته عدد من الخبراء من أن ظهور "رجل العث" فى كثير من الأحيان يكون قبل حدوث كارثة ما يموت على إثرها الكثيرون !! منها ما حدث فى "أوكراتيا" التى كانت جزء من "الاتحاد السوفييتى" فى ذلك الوقت عام ١٩٨٦ عندما شوهد "رجل العث" قبل كارثة انفجار مفاعل "تشرنوبل" النووى الشهيرة !! .. كما شوهد أيضا فى "البرازيل" و"إنجلترا" فى فترة السبعينات

أما آخر تلك المشاهدات فقد كانت فى عام ١٩٩٤ عندما تلقى المسؤولون مكالمات ادعى أصحابها أنهم قد شاهدوا ذلك المخلوق فى "ميامى" و"واشنطن" فى "الولايات المتحدة الأمريكية" ولا يعلم أحد إن كانت تلك المشاهدات الأخيرة مجرد إدعاءات فردية أم أنها حقيقية واقعة ...

وقد قامت مدينة السينما "هوليوود" فى عام ٢٠٠٢ بإنتاج فيلم وثائقى يحمل هذا الاسم ... (نبوءات رجل العث) الذى تحدث عن تلك القضية بالتفصيل ... مع ذكر الكثير من الحقائق المتعلقة بهذا الموضوع ...





استوضحت "هاجر" على إستحياء من ذلك المخلوق الذى يشاركها حبرتها ... ما قرأته من أنباء دونتها الصحف يوم ما

قالت : هل كنت أنت هذا ... ؟ ... أخفض رأسه وقال : لا ... بل كانت زوجتى ..

قالت : وأين هى الآن ؟! رفع رأسه وقال بتحد : لقد قتلتها .. وأشار إلى رأسه الثانية .. ثم إستطرد : وهذه الرأس الثانية هى رأسها وهو ما إستطعت الإحتفاظ به ..

تنفس شهيقا دل على آلام كآلام البشر النفسية حين يتنهدون وقالمخاطبا "هاجر" راجياً : أرجوك لا تسألينى ثانية .. فن أستطيع إفهامك ... قوانيننا غير قوانينكم ..

وإستطرد مرغما فقال كلاماً لم يتناسب مع عدم تمكنه من إتقان اللهجة .. قال : لست واثقاً من وجود روحى فى الحياة .. لكن ثقتى فى أن الانحراف هو أحد نوازع القلوب وأحد الملكات الأصيلة التى توجه سلوكنا فى كل العوالم .. أقول أن ما فعلته كان خطأ إجبارياً

والذى لم يضبط نفسه وهو يقترب إثماً أو حماقة قد أساء وإن كان مأموراً .. لا لسبب غير كون هذا العمل محرماً ؟ أليس لدينا ميل دائم للمحرم حتى فى حالات وعينا إلى خرق مايعرف بالمثل لمجرد أنها مثل ؟

روح الانحراف هذه هى التى تتحرك لتدفعنا للسقوط .. رغبة النفس الدفينة لمشاكسة ذاتها وتهشيم طبيعتها بإقتراف الإثم لوجه الإثم ... هذه الرغبة التى لايسبر غورها هى التى حرصتنى على مواصلة الأذى والقتل ..

لم تفهم "هاجر" أكثر معانى الكلمات .. لكنها فهمت أن ذلك المخلوق له فلسفة أعقل مما كانت تظن .. وإن كان استخدامهم للكلمات عجيبا وكأنه يترجم ترجمة حرفية للغة غير معروفة ...



كم كان المسيح اثيريب يبدو عذبا في بعض الأحيان .. ظهر لها ذات مرة وكاثت تخلع ملايسها
فتلعثمت وخجلت وسارعت فغطت نفسها .. ولاحظ ذلك فقال :-
أنا أسف .. لكن إعلمي أننا مختلفين وإن تشابهنا ولن يثيرني فيك ما أشاهد منك .. فكوني على
راحتك ..

ثم إستطرد قائلا :- ..
صحيح أننا متشابهون لكن لنا أولياتنا .. فلا تكمن الرغبة في الجسد وحده ... ولحن بعيدون
كل البعد عن الرغبات الحيوانية البحتة .. كما أننا ممنوعون من هذا بصرامة شديدة ..

تفوه بكلماته في ثبات خائجه ما أحسسته "هاجر" جليا .. فقد كان المخلوق متألما .. حتى أنه قد
خيل إليها .. أن الدموع ستندفق من عينيه وفي قلبه تضطرم مشاعر الندم على ذنب إقترفه
أو خطيئة إرتكبها .. روح خالدة .. ألم خالد .. وهلاك أبدي .. يعيش الفناء ويخطو بلا حياة

قرأت "هاجر" هذا في عيون مهترنة داخل وجه في رأس لم يكتمل بعد ... ذلك الرأس الذي
بات من الواضح أنه يندمج في الرأس الآخر وكأنه يسعى لإحتواءه ..

المسيح يساعد جسده في التكون .. بإحلال أعضاء إلى عظامه فتتشرب بها .. لا يأكل ولا يشرب
ولا ينام .. لكن كيف وصل به الحال إلى أن يصبح ذات يوم عظام نخرة ؟؟ ..

خمنت "هاجر" أن تلك التوقف الحياتي ربما كان حكماً عليه من قوى أعلى نتيجة ذنبه الذي
إقترقه ولا يريد الإفصاح عنه .. وكان توقعها جيد إلى حد بعيد .. لكنه ليس الحقيقة كاملة ..

فهو أمام ضيف فُرض من عالم مختلف كل الاختلاف عن عالمنا الذي نعيش فيه .. له أسسه
وقوانينه ... ولا تنطبق عليه أي من معاييرنا ..



ثم تفهم "هاجر" لكنها صدقته .. فهو فعلاً مختلف .. ليس كاتب .. لكن عبارته كانت منقوصة .. ولا يشعر بها كأنثى إلا لو إكتملت أعضائه الحسية والعقلية حينها سيكون في هذا الشأن كأي ذكر .. بل قد يزيد ..

من الناحية النظرية يبدو الترحال عبر الزمن منطقياً والفكرة في حد ذاتها قديمة وقد خُذها في الذاكرة الشعبية أساطين الخيال .. الفكرة مبنية على نظريات الانسيبية وهوانين الفيزياء وتفسيرها لطبيعة الكون لكن وضع "زاي" كان مختلفاً .. فهو ليس خلود مطلق بدليل وجوده كعظام ميتة

ثم يحس الحاج "فتحى" أى اختلاف في الحياة يخص بيته .. ذلك الرجل الغامض الذى يعبت في كتب السحر القديمة التى تعج بطرق الإتصال بالجن والسحر الأسود ..

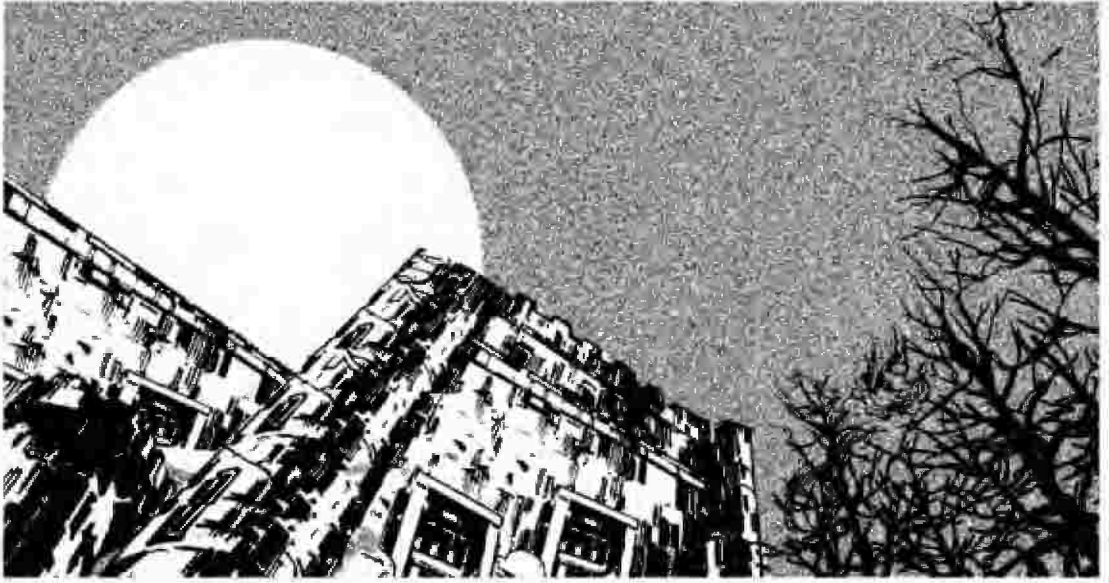
مضى يقرأ في كتبه ذات المعلومات الشائكة ويعمد له أهل القرية يستجدون ويستعينون من وعلى بعضهم البعض .. فهذا يريد ربط هذا على زوجته .. وهذا يريد إثارة الأحقاد ... وهذه تكيد لهذه ..

والحاج "فتحى" ينصاع إليهم جميعاً فيقلب هذا على ذاك ثم يعود لينتقم من ذاك لحساب هذا

كانت تلك هوايته المفضلة .. وربما إرتزق منها أيضا لكن الفائدة الجمة التى كانت تعود عليه حقيقة هى إجبار الناس على إحترامه والخوف منه وتلبية طلباته .. وكان في هذا غبن كبير للناس ..

فهناك الكثير من الطقوس التى تمارس بين العامة دون محاولة لمعرفة حقيقتها أو كنهها أو مدى موافقتها أو مخالفتها للشرع

وإذا كان هناك الكثير من المؤلفات التى تبين أن هذا حلال أو ذاك حرام بالدليل الشرعى فإن تلك المؤلفات قد خلت من الإشارة لأصول وجذور تلك العادات الإجتماعية المتأصلة في مجتمعاتنا



أثبت العلم ان كل شئ في هذا العالم يتكون من ذرات تشكل جزيئات ومكوّنة من الالكترونات وبيروتونات سايحة ومهتزة ... أي أن القانون العام هو اهتزاز الذرة بما فيها وكذلك نعرف جميعاً ان كل اهتزاز يكون ضمن رتبة معينة وضمن موجة معينة

هذا يقودنا إلى أن الكون برمته عبارة عن موجات تختلف فقط في طول موجاتها وكلما زاد اهتزاز الشئ كلما زاد رقة و إكتسب شفافية كالغازات مثلاً ..

وحواسنا البشرية لا تستطيع أن تستوعب إلا مدى معين من الرتب فمثلاً حاسة السمع مقيدة بين عتبة السمع وعتبة الألم وتخزن من ٢٠ إلى ٢٠٠٠٠ ذبذبة في الثانية

أي أن الاذن البشرية على سبيل المثال لا تدرك إلا أحد عشر سلماً ونصف من أصل بلايين السلالم الصوتية واي شئ ذو رتبة أقل أو أعلى لا تدركه

وحقاً الإنسان لا يستوعب إلا قدر يسير من الأحداث الكائنة فقط ... هذه النظرية سمحت للعلماء أن يفترضوا وجود أكوان متداخلة مع بعضها أي يخترق بعضها الآخر دون أن يشعر أحدها بوجود الآخر نظراً لتغاير رتبته في التردد ...

وهذا ما سمح لعلم ما وراء الطبيعة ان يخرج للأفق .. او علم الباراسيكولوجى .. و يعنى علم ماوراء النفس .. أو ماوراء الفيزياء .. مع انه متعلق بشدة بعلم و ثوابت الفيزياء الطبيعية

كحكاية زرقاء اليمامة في الجاهلية التي قيل انها كانت تستطيع الرؤية بوضوح على بعد مسيرة ثلاثة أيام .. وقيل انها رأت علانم غزو متجهة نحو قبيلتها .. فلما حذرتهم سخرها منها ولم يصدقوها فلم يكونوا على علم او يقين بمقدرتها حتى وقعت الواقعة وجاءهم الغزو الذي حذرت منه ... في نظر العلم تعتبر هذه واقعة محتملة الحدوث لامجال للخرافة فيها .. والتاريخ حافل بقصص شبيهة ..



لكنها فى ائنهاية شر مستطير يطيح بالقيم ويضرب بالإيمان والمثل عرض الحائط ...

تلك الطقوس المرتبطة إرتباطاً وثيقاً بالكثير من الموروثات الإجتماعية كالخوف من الحسد والسحر والتنبؤ بالمستقبل وغيرها من طقوس الضلال الشعبى

بدأ الحاج " فتحى " نشاطه هذا منذ ما يقرب من ثلاثين سنة .. حينها كان مجنناً فى منطقة العامرية العسكرية .. وكانت وقتها منطقة منعزلة فى الصحراء إلى جوار مدينة الإسكندرية

وقتها كان مجنن إرسالات ... بمعنى أنه كان يذهب بالمراسلات كل صباح إلى مركز القيادة

فيتم إعطاه أمراً كتابياً بالأوامر التموينية لهذا اليوم فيذهب مع مندوب المواد الغذائية فى الجيش بالسيارة فى طريق أسمه الطريق الصحى الذى يوصل لمكتب متعهد الإمداد والتموين

هذا ليحصل على بيان الحصص التموينية لوحدات الجيش ثم يعود بالسيارة مع نفس المندوب إلى المركز ..

هذا الطريق الذى كان أسمه الطريق الصحى سمى بهذا لوجود المستشفى فى آخره ..

هذا المستشفى كان مديناً مخصصاً للمدن المجاورة وقتها ... وكانت به المشرحه التى تقول إنها كل حالات الوفاة من باقى المستشفيات الأصغر ..

كبيره كانت هذه المشرحه وكانت تمتلئ بالجثث التى توفى أصحابها فى كل الحوادث البعيدة عن مستشفى الإسكندرية الرئيسى العام ..

ولم يكن أحدا يجرؤ على السير فى هذا الطريق ليلاً أبداً .. أولاً لأنه طريق مقطوع وثانياً وهو الأهم لأنه طريق ممنوع .. فقد كان يقال أن أشباح قتلى المشرحه تظهر فيه ليلاً .. مجرد شائعات يلوكلها القرويين .. لكنها حكايات مخيفة ..



الموتى لا يستيقظون .. إنما ما يروونه هو شياطين الجان التى تتمثل وتخيف وتستدرج خدامها .. تلك كانت الحالة التى يؤمن بها كل من بالمنطقة ... بناء على روايات ومشاهدات كل من مر بهذا الطريق ليلاً منهم من مات مائة شتاء ومنهم من أصابه مس الجنون ..

ذات يوم حدث خطأ فى يوميات التموينات القادمة للكتيبة واكتشف الأمر من قبل القيادة ليلاً وكانت الأوامر الصادرة هى تنبيه متعهد التموينات بقيادة الوحدة الأعلى ..

ونظراً لأن المتعهد يأتى صباحاً بسيارته فقد كان الحل الوحيد أن يتم إرسال هذا الجندي "فتحي" ليلاً سيراً على الأقدام فى هذا الطريق الطويل الذى يمتد لأكثر من ١٠ كيلومترات .. ليذهب إلى مقر المتعهد ويسلمه خطاب من قيادة الوحدة العسكرية

وكان يتحتم عليه أن يمر فى هذا الطريق على المشرحة حتى يصل إلى المتعهد وطاعة الأوامر لا مفر منها ... لذا تقبل "فتحي" القرار دون مناقشة ...

سمع وقتها همسات بين أصحابه وزملائه القدامى فى الوحدة حتى أن أحدهم ودعه قبل الذهاب بشكل غير مفهوم .

المهم أنه ذهب تاركاً قاعدته العسكرية وبدأت أولى خطواته فى الرحلة التى كان يشك الكثير من زملائه القدامى أنه سيعود منها سالماً ..

خرج "فتحي" من المعسكر ومشى فى الطريق الذى بدت ملامحه مختلفة عما هو فى الصباح لم يكن الطريق مظلم تماماً .. لكن أعمدة النور كانت على غير العادة تخفت وتضيئ بلا ضابط وكان وميضها محمراً ..

طمأن نفسه خادعاً بأنه لابد عطل فى مولد الكهرباء الذى يغذى المنطقة .. لكن هذا لم يكن حقيقياً

سمع فى البداية أصوات ذئاب وربما كان هذا معتاداً فى هذه الأجواء الصحراوية .



لكن يعد أن إبتعد عن القاعده بحوالى خمسة كيلومترات بدأ يسمع أصواتاً أغرب لا يستطيع أن يحكم عليها ولا يعرف مصدرها .. أحيانا كانت تشبه أصوات الرياح الغاضبة وأحيانا مثل همهمة الحيوانات ...

وعندما أقترب من المشرحة التى فى منتصف الطريق إذ به يلمح خيالا بعيدا يقترب منه ظن أنه أحد العاملين فى المستشفى ...

لكنه كان خيالا يتحرك بصورة غير معتاده .. مترنحا يقترب منه أكثر وأكثر وكأنه يقصده بالذات لم تتلاءم حركات سير ساقيه مع المسافة التى كان يقطعها .. كان يقترب أكثر مما هو طبيعى مع كل خطوة يخطوها ..

ثم أصبح هذا الخيال يتضاعف ويتضاعف حتى صار جماعة تخرج من خلف شخوصها

ومع كل تضاعف فى عدد الخيالات كانت تتضاعف دقات قلب الرجل خوفاً وهلعاً ..

وتضاعدت مهممات توحى بأنها أصوات آدمية لكنها كانت قادمة من عالم آخر ...

ومع اقترابهم إذ به يراهم هياكل عظميه .. لأموات المشرحة يكسوها قليل من اللحم والدماء السائله ..

الجمه الرعب للحظة ثم أطلق له العنان .. نسى الرجل المهمة وإنطلق نحو أقرب ضوء منه وكان ضوء المستشفى .. لعله يجد آدميا يلجأ إليه أو عاملا يخفف من روعه



وجد نفسه أمام باب غرفة المشرحة ولا باب غيره فدخلها لكنها كانت فارغة من البشر ...

فقط الموتى يمينا ويسارا .. أغلبهم لا توجد له معالم منهم من تهشم عظامه أو تاكل لحمه أو حرق جسده .. وجاء المترنحون من خلقه ليسدوا عليه الطريق ..

جثا على ركبتيه وصرخ فيهم مستعطفا : الرحمة .. أنا خادكم ... وليته ما قال ..

فالموتى لا يستيقظون .. إنما ما رآه هو شياطين الجان التى تتمثل وتخيف وتستدرج خداما لها .. من يومها أصبح خادهم يفرق بين الزوج وزوجه ويقلب المواجع .. وينشر البغيضة والبغضاء بين الناس ..

أعطوة العهد وأصبح خادهم بين البشر .. ينشر فيهم الكفر .. بينما لا يحذرون .. يفتت إيمانهم ويحيد بهم عن الطريق ... يرغبتهم .. من يومها أصبح خادهم يفرق ويقلب القلوب وينشر بالسحر البغضاء .. والكفر

أما بالنسبة لأهل القرية السذج فهو الشيخ المبروك الذين يقبلون يده تيركا ... ويقرون بينه وبين العقيدة .. قلنا منهم أن الاتجاه واحد ..

عنده حل لكل المشاكل وكل حالة علاج خاص فالتى تبحث عن حل لمشاكلها مع زوجها أو عائلتها غير التى تبحث عن حل لمشاكل عنوسة إبنتها وغير التى تعاني من مشاكل صحية ثم من يريد الإضرار بعدوه .. وبصورة عامة هو يستعين بآيات وأنواع معينة من البخور ليأتى بالحلول ... وهو يصل فعلا لهذا .. لكن وهما .. إذ أن الشياطين هنا يستدرجون الإنسان وبأخذونهم فى النهاية إلى طريق غير الطريق .. هذا شأنهم الذى فيه غايتهم ... تكفير البشر

والقرويين هم الأكثر اتجارا لتيار السحر والدجل لأنهم بعيدون عن العلم القيم داخل النفوس منذ الصغر ولا ترسيخ لعلاقة الدين بالعلم .. بل لا يرى البعض منهم جهلا فى الأمرين تناقضا



كان جسد "زاي" قد بدأت تظهر معالمه .. فاكتملت أجنحته وبعض أعضاء جسده .. لكنها ما زالت مقرزة غير متناسقة .. اقتنصها من شرار الناس والحيوان ..

فتح الحاج "فتحي" عيناه ببطء مع بواكير الفجر .. أخيراً سوف تنقش ظلمة الليل البغیضة ويحل النور الحبيب

لكن هذا لم يحدث .. الضوء المرتقب كان ذا لون يتفجى قائم .. ماذا يحدث؟؟ !! ..

هرع منتفضاً من قرائنه حيثما تذكر ما قرأه البارحة في كتابه ..

تذكر نعمة "موتسيا" وأنه تصحب تنقلات الكائن المدعو "زاي" تغير في لون الشمس إذ تمر من خلال روحه الأثمة ..

انتفض وأوصد الأبواب والنوافذ .. اللون القائم يغطي كل شيء حتى السلحفاة أخته في المولد كان يغمر صدفاتها لونا يتفجى ..

اللون المقيت في كل مكان .. على السجاد والأثاث وعلى الحائط وبين الكتب الكثيرة الموجودة على الرفوف في عشوانية

سمع صوت أنين غامض .. ويا له من صوت مرعب .. لابد أنه صوت المسخ القاتل الذي أشار إليه الكتاب .. إذا فذاك الكائن قريب .. قادم إلى عالمنا من المجهول .. يحمل ما لا طاقة للبشر به .. أت من درب آخر من الزمان عبر أجواء دودية لا تنفتح إلا بسلطان عظيم .. ويوسائل لا قبل لنا بمعرفتها .. أرهف السمع وتحقق أنه لا يتخيل .. الصوت يعلو هويتنا هويتنا .. يسمع أينما منتظماً .. وكأنه زفير حيوان ..



حاول أن يتلصص النظر من فتحات شيش التافذة الخشبية إلى الشارع عساه يرى الكائن القاتل لكنه لم يره لديه في كتبه دهاليز للاستفادة من حالة ظهور المسخ وكيفية قتله وإستغلال جثته في تعاويز منتهى القوة ..

أمعن عقله الشرير أملاً أن يحظى بقتل المسخ حال ظهوره بالتعاويز .. أو إستغلال هذه الظاهرة التي قد لا تحدث في العمر مرة .. لكن هذا لم يحدث .. فالمسخ لم يظهر في الشارع ..
فقد كان المسخ في غرفته .. وخلفه .. تماماً ..

بعد قليل إستيقظت "هاجر" .. على صوت الفته .. وبدأت تعتاده .. كان صوت المسخ "زاي"
قال كمن يقرأ تقريراً بلا حماسة : هيا يا صغيرتي أمامنا عمل .. ارتعدت .. فقد كان في يده مخ بشري .. كادت أن تنفيا ..

وكان اللون القاتم في سبيله للإنفشاع .. ولكن إنتشرت رائحة دم تفاذة فلم تستطع "هاجر"
إلا الاندفاع إلى دورة المياه لتفرغ ما في معدتها .. قينا ..

حتى الآن لم نتفوه لمخلوق بشيء عن "زاي" .. فهو مطلع بشكل ما ولن يغفلها ذلك .. لقد تعاهدت معه مجبرة ..

بعدها توجهت إلى غرفة الأب ... دفعت الباب الخشبي القديم ودخلت قرأت أباه نائماً في زاويته المعتادة .. لكنه كان قد تحول إلى قطعة دم كبيرة متجلطة ... وكانت الدماء تسيل من أعلا رأسه .. ياللهول .. ذلك المخ البشري في يد الكائن الوحشي ..

صرخت وفقدت وعيها ..



أفاقَت المسكينة بين يدي "زاي" ... سبته وركلته .. قُلتَ له : هيا أقتلني أيضا أيها الدميم ..
لم يحرك المسخ ساكنا .. تركها وانصرف جهة باب الحجرة متجهاً إلى صالة المنزل .. ثم إلى
حيث يرقد الباقي من الأب .. التفت إليها عند الباب وقال :
أباك لم يكن شخص جيد .. كان العوبة قلة من الجن .. وكان لابد أن يمحي من الوجود
طأطأ رأسه إلى الأرض واستطرد قائلاً فيما شابه لمحات الأسى عند الادميين : أنت أيضا كان
من المفروض قتلك .. فقد حظيت عظامي وكنت تتوين العيث بها ..
سكت قليلاً ثم تابع حديثه ناظراً إلى عينيها : أنتِ ذك لقاء سريرتك وشيء
آخر ..

تركها وغادر والمخ لازال في يده .. خرجت وراءه لا تدري ماذا تفعل .. ليتها قادرة عليه ...
وصل المسخ إلى حيث ترقد جثة الأب الحاج "فتحى" .. قرب المخ من عيناها الفارغتين وتفحص
باحثاً .. مد يده ذات المخالب ونكش شيئاً فيه .. ففقد من المخ كائن صغير صرخ ما لا يتلاءم
وحجمه ... كانت صرخة تصم الأذان ..

نظر "زاي" الكائن القافز فجمده مكانه ... تقدم منه وسحقه بما بدأ ينمو من قدمه التفت
ثانية إلى الجسد المسجي وأعاد المخ إلى مكانه رويداً بدأ صدر الحاج "فتحى" يعلو
ويهبط من جديد ..

نظرها المسخ وهو يتلاشى أمامها من الوجود .. كانت نظرة عتاب لا طائل منها ..



سمعت صوته فى رأسها كان يجب أن يموت .. لكننى خلصته من سيطرة من كانوا يسيطرون
سكت الصوت برهة ثم تابع : من أجلك ..

مضى الوقت غير محسوباً .. جامدة هى فى مكانها .. لم تعي منذ متى أو إلى متى .. هل كانت
تحلم .. أم أن ما حدث البارحة كان واقعاً .. لا تدري

بدأ تور الصباح الواهن يتسرب من فتحات خشب النافذة المغلق .. فتحت عيناها التان كانتا
مغلقتين إجباراً من الإرهاق ... كان الحاج "فتحى" جالساً على طرف السرير ... وفى عيناها
تساؤل كبير لم يقبله ..

دارت الفتاة كالمجنونة فى أرجاء المنزل تنادى هامسة "زاي" "زاي" ولا مجيب
وفى الغد كررت نداءها عشرات المرات .. ولم يجيبها .. هل غادر المسخ المكان ؟! .. مر يوم
آخر .. وآخر .. ولا مجيب ... كان من المفترض أن تتنفس الصعداء ... أو حتى أن تأمل هذا
لكنها استمرت تناديه ...

وبعد أيام طالعت عليها .. ظهر "زاي" فى حجرتها وكانت ملامحه قد بدأت تتضح ... ورأسه
الأخرى المهملة قد أمتصت داخل رأسه .. وقد ضمرت أجنحته قليلاً .. وتوارت خلف ظهره
لم يكن إلا نظرة عيناها .. فلم يكن بها سواد إنسان العين ..

عائلته "هاجر ملياً .. ما من شك أنه كان يوماً ما وسيماً .. قالتها له ولم تخجل .. وقد بدا أن
امتداد العشرة بينهما أحدث هذه الحالة من اللا حرج ..

رد عليها بقوله : لا تخدعك المظاهر .. قلنا حالات تكون فيها فى منتهى الوحشية والدمامة
وهذا مرتبط بالحالة النفسية التى تكون عليها ... وقد اختلفت تلك الأيام التى مضت لأنه كان
يجب على المكوث فى حالة بيات سكونى ... لتتضم الرأس الزائدة إلى جسدى وتختفى داخلى

الليلة كانت أكثر هدوءاً بل كانت رائعة على عكس ما مضى .. القمر فيها إكتسح السماء يرداء مطرز بخيوط حريرية فضية .. كان ملكاً متوجاً على صدر الجبل ونسيم الليل النقي .. إنسابت قطرات الندى تحاكي الليل بأروع الأساطير و الحكايات و الأشجار تتمايل بنشوة غريبة الملامح

امعنت الأنثى النظر إلى الجسد الممشوق الذى كان بالأمس مسخاً يثير الغثيان .. لازال مشوها لكنه جميل .. وكان أجمل ما فيه روحه .. فعلاً قد تنجذب إليك أنثى وتصيح مرامها ولو كنت دميماً كاحدب نترودام .. لفرط إعجابها بطريقتك فى الحياة وما يعمل داخلك من قوة ..

إنزلقت عيناها المتفحصة للتغير الذى طرأ المسخ .. وباعدت وجهها فجأة .. وقد إكتسى وجهها بحمرة الخجل .. لقد إكتمل المسخ كثيراً ..

وضعت يدها على كتفه .. لم يكن للخجل مكان كبير فالمسح ملازم لها من أيام تعددت ..

تبدأ مراسم الارتباط فيتسرب الخوف إلى أوصال "هاجر" تحس و كأنها طفل يصارع جيروت ذلك المساء المحمل .. لم تعلم من حقبت أقدام الشباب وراء وصاتها كيف إنجذبت نحو دميم مشوه .. وقالت عيناها ما لم يستطع ثغرها قوله ..

أما "زاي" فلم تقل عيناه شيئاً فقد كانتا بلا إنسان عين ... وجسده بلا إنسان أيضاً

تناولت أحد سراويلها وخاطته ليتناسب بقايا الرجل المائل أمامها تناولته إياه وأشارت إليه ليلبسه ... لم ترد سترته أرادت بذلك حماية نفسها .. من الإجفاف .. فلا أحد يراها غيرها



لم تشعر بمرور الوقت إلا عندما بدأت خيوط ستائر الليل تتسلل من الغسق تاركة وراءها بصيصاً لطيفاً من النور مشوياً ببرودة ناعمة .. نظرت من النافذة وإذا بقرص الشمس يوشك أن يتوارى في الأفق البعيد وراء سحب أتت لتزف الشمس إلى مستقرها وتأتي بالليل الحالم ..

سبحت روحها في فضاء الأحلام .. وإذا بها تسمع همساً ناعماً هادئاً ... قال .. حبيبتي

لا إرادياً التفتت ينظرها نحو مصدر الصوت .. اضطرب منها القلب .. وارتعش الجسد طرحت النوم جانباً ... هالة ضوئية أضاعت العتمة .. إنه هو رفيق سجنها بدأت صورته تتضح رويداً... رويداً .. فعلاً هو .. فارس أحلامها .. أتى بلا جواد ..

وإذا به هو نفسه .. شعره الأسود وثوبه الأبيض البهيج وإبتسامته العذبة التي لا تنتهي

خطاً قداماً صوبها .. بنفس الخطى والسحر والثقة .. إقتربت هي أكثر فأكثرت .. لا تريد أن ينتهي حلمها قبل القيلة .. كما يحدث .. دنا حتى لامسها ولم تحرك ساكناً لم تصدق أن الحلم لم ينتهي .. راحت عيناها تتفحصانه .. وتتأمل سحره الأخاذ بينما هي تتعرج في أحضانه .. أنت منه ما تمت .. وأتى منها ما أراد ..

حاولت النطق فلم تستطع وكان لسانها أصابه البكم ... عجزت عن الكلام .. عجز اللسان عن التعبير نظرت إليه وكأنها تود أن تعيد إلى نفسها الطمأنينة وإلى قلبها الملهوف سكناً .. لقد تعدى الحلم القيلة بكثير وما زال باقياً ..

لم تكن نادمة بل مرتبكة من السعادة والشعور بالفرح والنشوة ... تحرك لسانها يعد شلل ... فسألته : من أنت ؟ ... أجاب بهمس الكلام وبصوت عذب هادئ كدفق الألحان : أنا "زاي"





أنا بجانبك .. جنت من أجلك .. لا وقت للإجابة على كل أسئلتك ... لكنني سأعود وأجيبك على ما تريد في الوقت المناسب والآن إنتهى وقتى ويجب أن أعاود فأختفى من جديد خلف نفسي

تركها في حيرة من أمرها .. مادت قدرتها .. وهانت أفكارها ...

غادرها والسعادة ترسم على وجهها وقد عرفت لفارس أحلامها إسما تطلقه عليه وتناديه به قطعت الشك باليقين بأن ما حدث حقيقة ... إزداد قلبها تعلقا به وإزدادت روحها هياماً وأبت نفسها أن تسكنها روح سواه .

صحت من نومها والحلم الجميل مازال يراودها .. لكن ما هذا التخريف .. لم يكن فارسها هو "زاي" .. بل كان صاحب الحصان الأبيض الذى يأتى إليها دائماً فى الأحلام ... يخطفها على حصانه ويعدو بعيداً .. وحينما يبدأ فى طبع قبيلته على شفيتها تصحو من النوم ..

لقد تمادى الفارس هذه المرة وبلغ بها المنتهى ... لكن لماذا قال أنه "زاي" .. ولم يكن هو؟!

فُتحت عيون الكرى لتجد "زاي" ماثلاً أمامها يحملق بعيناه التان تبدوان لا تنظران وجلت وقامت من مرقدها سريعاً فقد أحست كما لو كان ذلك المسخ قد إطلع على حلمها الخاص

رمفته بعين فاحصة وقد إرتدى السروال الذى أعطته إياه ليستر نفسه به أمامها ...

لمحت على وجهه إبتسامة رضا حاول رسمها على شفتيه بصعوبة .. واضح أن هذا الوجه لم يعتاد الإبتسام

قال لها وقد فهم ما يعمل داخل عقلها : .. لم أحظى بكل شيء .. مازالت الحياة بعيدة عني ..
 ردت بنظرة عيناها المتسانلة ... وأجاب هو عليها : يجب أن أسترّد قلبي .. وهذا دورك ..
 حملقت مستفهمة .. فقال : ستذهبين أنت ووالدك لإحضاره من مكان بعيد عند التقاء السهل
 بالجبل .. وسيكون عمل خطير .. ولن أستطيع التدخل .. فمن هناك يستطيعون تدميرى
 جلست "هاجر" تفكر ملياً .. لا تستطيع إلا الإزعاج .. لا مجال للهروب .. كيف يمكن أن تنجو
 طرقات عتيقة على الباب أخرجتها من سكون خواطرها .. حينها انفتح الباب عنوة تحت وطأة
 القرويين الثائرين ويلاه غضب عارم يهز الفئوس في أيديهم .. عيوتهم الحمراء تقدح ناراً
 يريدون الفتك بالحاج "فتحى" وإبنته .. ترى كانوا يحيلون أمر ما يحدث في القرية لهم .. أم أن
 قوة أخرى غير متظورة أتت بهم ..
 خرجت الفتاة وبفعل غريزي ارتفعت على أياها الساكن الحركة لتحمية بجسدها ... سكون عم
 المشهد وكأنما تيبس الجميع في مكانهم .. قطع السكون ظهور "زاي" خارجاً من حجرة "هاجر"
 أشاح بوجهه جهتهم فعادوا مع إشاحته إلى الواقع المر من جديد .. استداروا واتجهوا صوب
 الباب بعيون زائغة منكسرة .. هل كانوا يرونه أم أنه سحرهم ؟ نظرت إليه باستغراب .. وتدفعت
 الكلمات مرتجفة من ثغرها المشرب بالخوف ... متى نذهب لإحضار القلب ...



ومضت السماء وميضاً أظهره الضوء المفاجيء من شباك الحجرة .. لفت "زاي" عيناه نحوه وكأنه ينظره بلا عيون .. وتركها وخرج من صالة البيت ... متتبعا أباهما الحاج "فتحى" الذى قام منذ قليل وتوجه صوب غرفة مكتبه التى لم يكن يدخلها "زاي" إلا قليلا ..

تلك الحجرة التى اكتظت بأشياء لا يعلم قيمتها إلا هو أشياء اشتراها من مزادات التحف وأشياء أتى بها من سوق الخردة وغيرها أخذها من القمامة .. ومسروقات من المتاحف الأثرية إضافة إلى المتاع الذى أوصى به تاجر الروبايكيكيا الذى يتحين الموت فيذهب إلى عائلة المتوفى ليأخذ متاع من مات بأخس الأثمان

دخل "زاي" الحجرة وباغت الرجل بسؤاله عن تاريخ مولده .. نظر الرجل إلى سلحفاته العتيقة التى كانت تركز تحت المنضدة .. وقال مساء يوم الثالث عشر من يونيو سنة ١٩٢١ .. أجابه العجوز وكأنه يعلم بوجوده بالمنزل .. لم يقابجا أو يتعجب

أجابة الرجل التفصيلية الهادئة كانت توحى بأنه يعلم لماذا يسأله المسخ فتاريخ الموت وتاريخ الميلاد لهما وضع معين فى التعامل مع الظواهر الغيبية ولها مدلولات ومقاصد

هو يعلم أن الإبتلاء درجة متقدمة من درجات الاختيار لأنه يبلى الإنسان .. والبشر مخلوقون فى الحياة للبتلاء وكل ما يمر عليهم من أقدار تؤثر فى حياتهم كأفراد أو جماعات بل إن ما وجد فى الإنسان من حواس وجوارح وظروف تؤثر فى تمكنه من الأدوات اللازمة له ليتأهل للمشاركة فى الأحداث خاصة الجلية منها وتكون الحجة عليه أو على مضاده فيكون جديراً بالحكم فى نهاية المطاف منتصراً أو مهزوماً



قال "زاي" دوئما تفكير .. باق شهر وثلاثة أيام .. وتركه وعاود السير الى حجرة "هاجر"
فهى مستقره الذى الله يختفى فيه ويظهر ويتكون .. وربما كان هناك سيب آخر

طاطا العجوز رأسه وكانما هو مسير إلى مصير محتوم وفى اليوم التالى جلس إلى ابنته
قال لها والحسرة بادية عليه .. لقد كتب علينا ان نذهب لإحضار قلب "زاي" .. لا مقر .. وهو
امر محقوف بخطر لا تدرى مداه ..

قلبه مدفون فى مكان رهيب بالجبل .. ويقبع عليه حرس أشداء .. لا يد من إحضاره .. و"زاي"
على عنفوان قدراته لا يستطيع الذهاب إلى هناك ..

انت المخولة بهذا العمل دون غيرك .. ولا تظنين ان هذا المسخ تركنا نعيش إلا لهذا السيب

صمت برهة وقال مقسرا : ..

قرأت هذا فى النبوءة المذكورة عن لعنة "موتيسيا" .. وإن لم تنجو .. فسوف يظل يسعى من
جديد حتى تقع عظامه مرة أخرى فى يد عزراء لها نفس مواصفائك ..

اتسعت عينا "هاجر" .. كانت تظن ان "زاي" منحها الحياة لسبب آخر .. كيف واتاها هذا الفكر؟!

هل احصت تقضيلا لها عنده هل كانت تأمل فى حب يجمعهما ؟!! لم تكن تدرى

هو ليس إنسان على شاكلتها .. ولا يمتلك من الوسامة ما يذكر ... هو شر مستطير لكن
شيئا ما فى داخلها كان يفضلها لا تعلم كنهه ..





مضت الليالي رازحة تحت العواصف والرعود ... وفي اليوم المحدد زادت السماء من كابيتها

العجيب أن أهالي القرية لا يتكلمون .. يأكلون ويشربون وكانهم نائمون .. لا يغادرون حدود المكان .. ومن يدخل القرية لا يخرج منها .. يصبح في التو مثلهم ..

ناقضت "هاجر" الأمر مع والدها العارف فقال في حسرة وكانما يقر أمراً واقعاً : .. "زاي" من قوم قادرين على السيطرة على العقول .. يستطيعون الإيهام بأي شيء .. لكنه يضعنا أنا وأنت خارج هذه الدائرة .. لسبب أشد خطورة .. سيحملنا مهمة إحضار قلبه من الجبل ..

حملق الرجل فيها واستطرد : .. وأنت بالذات منوطة بهذا .. دون غيرك ..

وجاء الموعد المحدد لذهابهما إلى الجبل .. الناس في شوارع القرية هلعون .. يجرون يمته ويسارا بلا هدف .. كل شيء تلون بلون غريب

البيوت الهادئة المطنية بالكلس الأبيض تحول لونها هي أيضا إلى ذلك اللون القاتم المقيت ..

الطرق الرماذية تحولت للون البنفسجي المحمر .. أما الناس فلم يتحول الكثير منهم إلى ذلك اللون ... بعضهم فقط .. وكل غير الآخر .. بعضهم زادت حمرة فاصبح قانيا بلون الدم ..

لحظات و ملأت الشوارع أنهار من الدماء .. تجلطت بسرعة وبدأت الأرض تغور .. تنتج فيها بوغات منتفخة كالسرطان .. ثم تتفجر لافظة ما بداخلها من حمم .. تسعى حثيثا ثم تختفي ..

أخرجت الأرض ما تحت ثراها من رفات .. وبعثرت القبور ما حوته من العظام النخرة .. تفجر البركان الخامد تحت أرض القرية لمئات السنين ... طالت اللعنة كل شيء .. الناس في وجوم الموتى .. يسعون ولا يتكلمون .. كان سكرة الموت قد طالتهم وهم أحياء ..



ويلاه .. الأرض تعاود ابتلاعها للأجساد الواحد تلو الآخر .. لكنها تتخير من تلوئوا بلون الدم

أقبل ذلك الصبح ينثر الوجل والرعب فجهاز الرفيقان نفسيهما لبداية رحلتها الخطرة
حضرا كل مايلزمهما كبشر عاديين فلا دخل للمخلوق بالأمر بعد أن يوصلهما إلى مشارف الجبل

مضى "زاي" يشرح لهما ما سيفعلاته وكان يملؤه التفاعل لكنه كان غافلاً عما هو قادم وما
يمكن أن يحدث في دنيا البشر وصراع مع آخرين من غير البشر .. أشداء عليه هو نفسه ..

باغته "هاجر" بسؤالها : لماذا قتلت زوجتك كما أخبرتني .. ؟

يزداد ذهوله ويجد نفسه في وضع حرج كأن أحداً أمسك عليه شيئاً عنوة .. قال وعلى محياه
مسحة كآبة لم يستطع إخفاءها : الأمر معقد جداً بالنسبة لفهمكم لكنه كما تقولون قدر كان لابد
منه .. فلا تظنون أننا مثلكم .. أو حتى أشباه .. إن لنا قوانيننا .. والتشبه بكم إثم لا توبة فيه
العطف والحنو عندنا قد يكون جريمة لا تغتفر .. ونحن قوم متدخلون يعيش بعضنا داخل بعضنا
وفي النهاية كيان واحد لا طائل لكم بمعرفته .. أو قهم كنهه ..

قال كلماته وقام فرحل عن مجلسهم ممزق الكيان مملو بالحسرة والألم كان يظن أنه بين من
لم يتخلوا عنه .. صعب بسوء وضعه الذي آل إليه .. ولكنه رغم ذلك وجد طريقاً من خلالهم

وجد لنفسه فرصة لإعادة حياته فعاود نفسه وبمساعدة منهم أنه سيقطع الصلة مع بنى البشر
ولعل وعسى يستطيعون ما لا يقدر هو عليه .. تحامل على نفسه وعاد متشبهاً ببقايا قوته مع
بنى الإنسان .. إنشق ظهره عن جناحين كاجنحة الوطاويط .. وقال هيا ساحمكما إلى مشارف
الجبل ..



مضت الساعات بسرعة وحانت لحظة السفر .. حملا كل ما قد يحتاجا إليه من مؤن جافة ومياه
وأضلاع خيمة سفر صغيرة تكاد تغطيهما بالكاد لو فرداها ..

حملهما "زاي" وومضت الدنيا بوميض أعمى الأبصار للحظة .. فكاتا في عباب السماء لحظة
ثم على الرمل فجأة وفي المكان الموعود ..

كان الجبل كبيراً جداً .. رهيباً ومسيطرأ .. خلاؤه غذى اليباس المتراكم لديهما من فعل الخوف
أمنيات الأمل والتفاؤل ما عادت صالحة للاستعمال .. أظلمت الدنيا في قلوبهما .. هما مسيران
إلى مصير غير معلوم .. لا يعرفان عنه إلا أنه يحمل الهلاك

صمتاً مضياً غير معنيان بتفسير الأسباب وبقيلا لا يعرفان لون أو شكل البسمة ولا صوت الكلام
الدنيا فارغة .. إلا من أصوات تأتي من بعيد .. لا يدرون مصدرها .. وهذا طبع الخلاء ... قد
تسمع الهمس من شخص يبعد عنك أميالاً

اقتربت الشمس على المغرب .. ومن بعيد كانت القمم السوداء قد بدت تلوح بذاك المشهد المر
الرهيب الذي يثير القشعريرة في النفس

ذاهبان نحو القمة وربما القمر الذي بدأ في الظهور فقد أسرع الليل خطاه وكأنه يرحب بقدميهما
ربما سيموتان حالاً من بطشة مخلوق مجهول .. ربما تغرقهما الرمال .. ربما تاكلهما الصخور

تقرحت عظامهما سريعاً من شدة ثقل شتاتيهما المعلفتان على الظهور تتخر العظم .. والجبل
هنا لا يعرف الوهن .. الأب ساكتاً يعظم ما لا تعرفه ابنته .. يحمل في داخله رفضاً يتحدى به الحياة

مضياً صاعداً يغاليان التعب ووعورة السفح الصاعد والدنيا زائغة كاحلام الأيتام الليلة
موعدهما مع حرس قلب "زاي" القادم من أعماق المجهول .. ها هي يشائر الرعب قادمة من
صوب قمة الجبل .. برقت عيون من بعيد .. توقف المغامران المسيران إلى مصيرهما .. قال
الأب سنعسكر الليلة هنا ..



كان السكوت يخيم على المكان .. لاشئ على امتداد البصر في صحراء خلت إلا من بعض النقم التي يبرزت من الرمال .. أما من ناحية الجبل فكان المنظر رهيب فقد كانت مجموعة من القمم السوداء

تلك الجبال تجثم على الأرض بمنظر مخيف .. كانت المرة الأولى التي تشاهد فيها "هاجر" تلك الجبال .. تفحصتها بدقه وكأنها تبحث عن شئ وفي جزء من الثانية خيل لها أنها رأت شئ يتحرك لم تكن متأكدة لكنه ذاك الشعور الغامض يتحرك مرة أخرى في أعماقها .. شعور بأن هناك شئ جلل سيحدث .. الشعور أن هناك شئ غامض ينتظرهما .. فطائما صدق معها ذلك الشعور بواقع تجربته .. لم تكن تدري أن هذه الرحلة سوف تكون مأساة سوداء مثل لون الجبال في عتمة الليل ..

ربما كان ما يريانه متفقاً مع الواقع .. لكن ما كان جديراً بنفت الانتباه هو ذلك التجمع المحتشد لكثير من الغربان أمام أحد الكهوف البعيدة .. فتح الأب وريقة كالخريطة أخرجها من جيبه وهز رأسه مهمهما ... فقد كان هذا الكهف هدفهما المنشود ..

باتا ليلتهما بين أصوات تأتي إليهما من صوب الجبل .. أصوات لا يقال عنها إلا أنها لمخلوقات من غير البشر ولا الحيوان أو الطير .. كانت عيناها تتفتحان عنوة إذا ما علت أو أحسا إقترابا ينتظران حثفهما .. ولا يمكن لمجابهتها أى حيلة ..

وقد قررا أن يدخلوا إلى أعماق الجبل في اليوم التالي وإنهاء المهمة التي كلفهما بها "زاي" بأسرع ما يمكنهما .. ولم يكونا يدریان أن دخولهما للمغارة المشار إليها هو فقط بداية لحزمة أحداث رهيبه آتية ..

مستسلمان للأقدار .. ما باليد حيلة .. فهما مسيران إلى مصير مجهول ...



إشراقة شمس الصباح في اليوم الثاني كانت تحمل أجمل منظر فلم تكن السحابة الرمادية الغامضة موجودة ولم تكن الأحداث التي تعج بها القرية كأنثة هنا .. وكانت الشمس تعكس أشعتها على الرمال وعلى تلك الجبال التي كانت سوداء بمنظر رهيب في الليل

تلك الأنشعة القوية الصادرة من الشمس قهرت الظلام وقهرت الأنشباح وبددت الرهبة والخوف من نفسيهما وأزالت ما وصمه الليل بصمته الغامض وظلامه المخيف وما كان لهذا من تأثير مفرع للنفوس وكأنه ممتلئ بأشباح عالم الظلام

امتلات نفوسهما بالحيوية ودب في جسديهما النشاط و تحمسا لإتجاز مهمتهما فمضيا يستحثان الخطى في طريقهما الصاعد الوعر ..

ما أثار الاهتمام وجود ذلك العدد الهائل من الجحور التي تتواجد في أعلى الجبل منظر هذه الكهوف أضفى جو التوجس على المكان وكأنها تحتوى على جنود جيش جرار يتأهب للإنتقاض

وصلا أخيراً إلى بهو المغارة المقصودة

المكان في الخارج منبسط وفسيح والمغارة على ما يبدو كذلك فلازالت أمامهما خطوات عديدة حتى يصلا للمكان الذي منه يمكنهما أن يتبيننا عمقها .. وظلام الداخل يمتد إلى مساحه طويلة

الشعور المبهم بأن هذه الرحلة سوف تقع فيها مأساة ظل يراود "هاجر" لكن نشوة المغامرة التي شعرت بها آراء تلك الأحداث كانت تقابل ذلك الشعور وتضاده .. أما الأب فلم يكن هذا حالة .. كانت علام الوجوم وربما الحزن ماثلة على محياه ... إذ كان أكثر منها علماً ...



لم يكن داخل المغارة غير الظلام وتلك
الغريبان الغريبة ... وسلم طويل محفور
فى الصخر .. يصعد بالصاعد الى باب
يؤدى الى غرفة يغمرها الضوء .. وان
كان عديم المصدر

الغريبان ليست من الطيور الليلية التى
تستطيع الرؤية فى الظلام ... الاغرب
من ذلك هو ذلك الانعكاس الضوئى الذى
يحدث على عيونها فيجعلها تشرق فى الظلام

فهذا لا يحدث الا على العيون التى تستطيع
الرؤية خلال العتمة لمخلوقات مثل القطط
والذئاب والثعالب .. لكن الغريبان من الطيور
التي تاتى الى أعشاشها حين غروب الشمس
ولا يمكن ان تعكس عيونها الضوء

الغريب أيضاً انها موجودة داخل الكهف ولم يسمع
أحد على الإطلاق ان الغريبان تسكن الكهوف ..

بعد ذلك وفى لحظات اختفت جميع الغريبان وكأنها
لاحظت وجودهما أو ربما توارت لسبب ما ...

مامر حتى الآن من الأحداث كانت "هاجر تشعر بأنه حدث
مكرر .. بحثت فى أعماق عقلها عنها تتذكر .. ولكن كان
أمامها ذاك الفراغ الرهيب المظلم لم تتذكر شئ .. أقنعت
نفسها ان ذلك ربما يعود الى حلم قديم فتلك المشاهد التى
كانت تراها لم تكن غريبة عليها على الإطلاق ... ذلك ما
كان يشعرها بقلق غامض امتد الى كل حياتها ..

فربما شارك روحها داخل جسدها روح أخرى ..

أصرت هاجر على أن تتقدم أياها بينما هما صاعدان إلى الحجرة المنيرة أعلى الدرج .. كانت تتوقع منه أن يمانع كعادته للذود عنها .. لكن هذا لم يحدث .. وكان ما يحدث هو تحصيل حاصل لشيء يعلمه .. أو يتكهن بحدوثه ..

كان يعلم أن "هاجر" لن يمسسها سوء ..

ومضت الحجرة بضوء وهاج عندما إقتربت "هاجر" ووالدها من الباب .. وظهر خارجا منه شيخ .. أوحى صورته أنه ربما لامرأة .. تدثرت داخل عباءة رثة ..

لحظات طالت سكنت فيها الحياة إلا من وقع الأنفاس ... وجوم ما بعده وجوم ... قطعه ذلك البريق الوحشي الذي كان مصدره عينا الشيخ المائل أعلى الدرج ..

المسافة ليست قريبة التي تفصلهما عن الشيخ ألا أنه آزاد من الرعب يعلوه عن الأرض وتحركه في الهواء .. ثم انقض فجأة عليهما ..

لم تدر "هاجر" كيف وائتها هذه الشجاعة .. حتى تتصدى للشيخ حامية والدها بجسدها .. فقد كان من الواضح أن الشيخ يستهدفه ..

إرتد الشيخ للخلف وراوغ .. ما من شك أنه لا يريد المساس بهاجر .. وكان في حركته يهمس فحيحا مرعبا كالأفاعي تبينت منه هاجر كلمة .. "زاي"



إقترب الشبح من المغامر ان كثيراً ... خلق فوقهما هائماً بلا أجنحة .. قرب وجهه البشع من "هاجر" حمله في وجهها بعيون بشعة قدحت شراً أخرج من تحت عياعته يد ذات مخالب وكان وجهه أقرب إلى الحيات منها إلى البشر .. وإحساس ما يوحى بأنها أنثى ..

صرخ الوالد خوفاً على إبنته محذراً فقال : لا تستسلمي فسلاحهم الوهم .. لاحظتها إنقض المسخ عليهما في شراسة .. أغمضت "هاجر" عينيها مستسلمة للقدر .. وفتحتهما .. لتكتشف أن المسخ قد اختفى من الساحة

نعيق مبحوح من فوقهم .. كان صوت غراب بصوته المشنوم يقول نفس الكلمة .. "زاي" ..

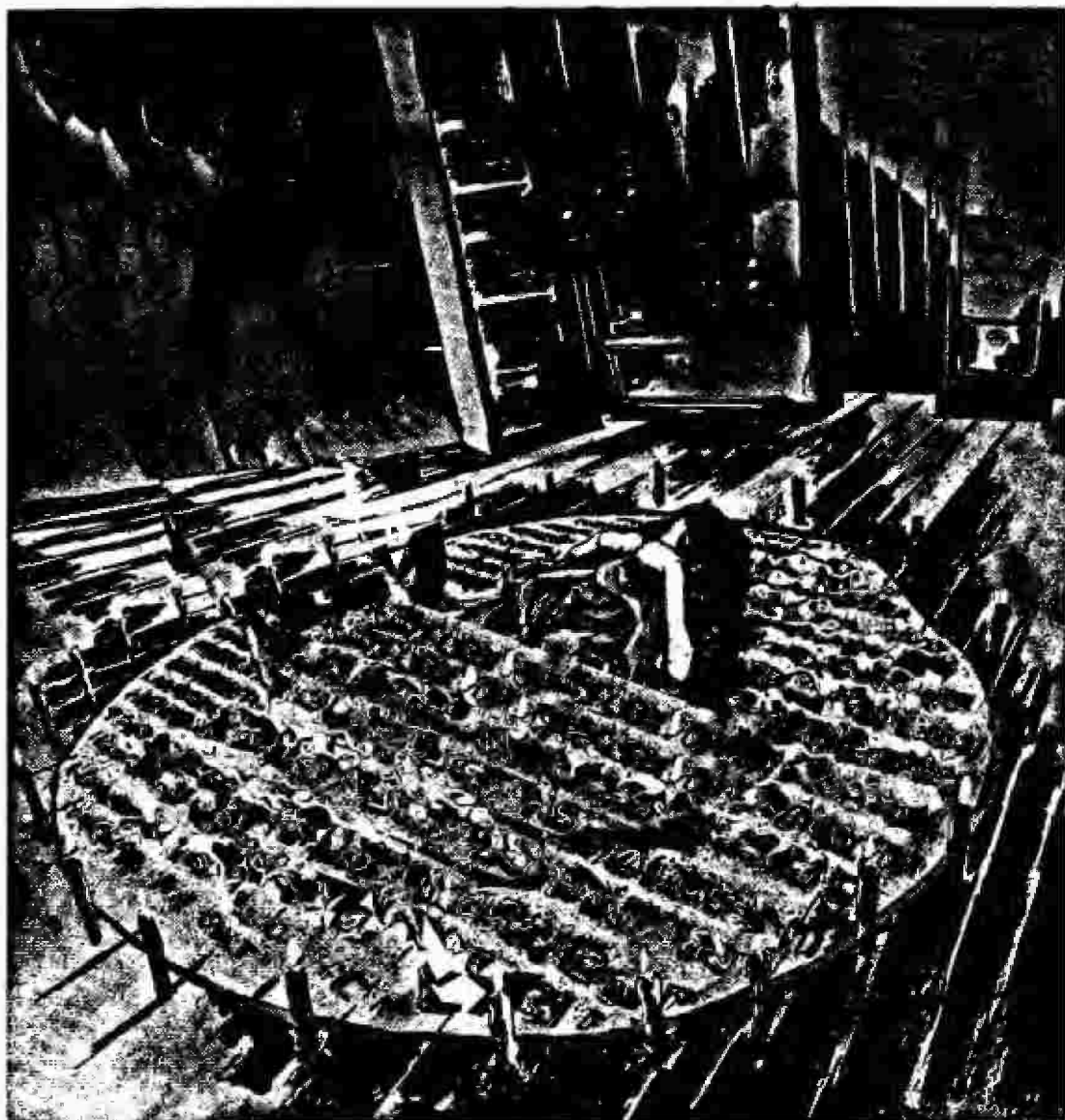
لم يتحرك أحد .. كان صوت الغراب كأنه يستجد .. لكن أحداً لم يتحرك .. اظلمت الدنيا لثانية واختفى الوحش المرعب .. سارعت "هاجر" فارتقت ما بقي من درج .. ووصلت للحجرة العجيبة .. وقبل أن تلجها التفتت إلى والدها خلفها .. لكنه لم يكن موجوداً ..



جالت عيونها تبحث عن أباها .. ولم تجده .. لا على الدرج ولا فى أسفل بهو المغارة ولا فى
الحجرة التى دخلتها لتوها .. الحجرة كانت مكان عاش فيه شخص ما لمدة ... وفى وسطها
على الأرضية كانت هناك دائرة تحيطها شموع دهنية كالتى يصنعها البدو من شحوم الحيوان

داخل الدائرة كان نقشاً بالحروف .. لكن كلماته كثيرة جداً واللغة غير مفهومة وكان من
نقشها استغرق سنين لإتمام ذلك .. وفى المنتصف كان هناك بعض الأشياء التى لا مسمى لها
لكن من بينها كان قلب بنيض والدم يسيل منه .. قطرات ..

تقدمت "هاجر" وخطت داخل الدائرة لتتناول القلب .. فهو قلب "زاي" الذى أتوا من أجله ..





القلب هو تلك العضلة اللاإرادية التي لا يحيا الإنسان بدونها .. وهو من يتحكم في المشاعر إذ هناك صلة بين العقل والقلب .. يجمع بينها رابط غير مادي قوى .. وخلجاته تحمل مجمل الأحاسيس .. والقلب سمي قلباً لأنه يتقلب بالإحساس والشعور فكان أحق من العين والعقل فالأعمى يحب ويكره والمجنون كذلك و بدون شعور القلب قلن يحدث حب ولا كره ..

ولكن لماذا تفترس الحيوانات بعضهم بعضاً رغم أن قلوبها أكبر حجماً من قلوب البشر .. ولماذا تأكل القطاة أطفالها ؟ ولماذا يقتل الإنسان أحياناً أخاه وامه وأباه ؟

الفراشة كانوا يوزنون قلب الميت ليعرفوا إذا كان طيباً أو شريراً ثم لماذا تزداد دقات القلب عند أحاسيس معينة مثل الحب والخوف كناية عن الإحساس وقد اعتاد الناس استخدام اللفظ على أنه رمز الحياة الأول والآخر ..

و"زاي" إلى الآن ينقصه قلبه .. أى أن حياته ينقصها الكثير .. "هاجر" أتت له بقلبه .. لماذا هي بالذات .. ولماذا حافظ عليها .. ولماذا نقي رأس أبيها من دنس الدخلاء ... ولماذا تجنب الشبح منذ قليل مهاجمتها .. وأين ذهب أبيها ..؟؟!! أسئلة لا إجابة لها ..

غادرت الفتاة الحجرة .. لم يكن الشبح بالخارج .. كانت هناك امرأة جميلة عارية الا من دثار أسود لم يخف مفاتها .. بدا هذا من شعرها الذهبي ويديها البيضاتان الخارجتان من تحت الدثار الذي يغطي أجزاء من جسمها ...

كانت قابضة على الأرض أسفل السلم الحجري .. ومنهمكة في عمل شيء .. رفعت رأسها لتنظر "هاجر" ويلاه ماذا كانت تأكل .. إنها تأكل من جسد بشرى .. يا للمصيبة إنها جثة أبيها ..

انطلقت الفتاة التعسة "هاجر" بلا وعى لتهاجم المرأة المفترسة .. التي حركت ذيلها الإفعوانى لتلطم الفتاة به فتفقداه وعيها ...



استفاقت من الصدمة لا تعلم قدر ما غفته من جراء الصدمة رأسها يكاد يتفجر من الألم
خرجت المسكينة منهكة القوى تجر قدميها اللتان ناءا بحمل جسدها وعقلها يكاد ينفطر حزنا
لن تنسى ذلك المشهد أيد عمرها .. لكن لابد من الإنتقام ولو دفعت حياتها ثمنا ..

الرياح تشتد .. والشمس كانت قد أنهت رحلتها اليومية وأعلنت عن نهاية اليوم الثاني من أيام
رحلة الرعب فمضت ذاهية إلى غروب حتى تطلق سراح ذلك الخوف الذي كانت تحتجزه بنورها
أغربت الشمس تاركه الحرية الكامله لكيان الرعب لينتشر في النفوس وأقبل الليل بما يحمله
من غموض ووحشه ورهبة لكن وهن الجسد كان أقوى وأشد .. فأسلمها إلى الأرض .. راحت
في سبات عميق غيبوبة كالموت ..

شئ غامض كان في حقيبتها .. مازال ينبض ويضخ نماء لا مورد لها .. إنه قلب "زاي" ...
الشعور شئ كانت تدركه وتجهله .. شئ يقبع في ذلك الجزء المظلم من الذاكره .. الجزء الذي
تنطلق منه الحاسة السادسة .. الجزء الذي يتنبك بوجود شئ مريب .. خطير .. قد يحدث بين
لحظة وأخرى ..

أفاقت لتجد نفسها بين يدي فارس أحلامها .. هي تحلم بالتأكد .. أو ربما إنتقلت إلى عالم الموت
لكنها تحس به إحساس المتيقظين .. هو فارسها الذي يأتي فيخطفها على حصانه .. ذلك الرجل
القوى الوسيم .. الذي يغمرها دون سواها بحبه .. ذلك الشخص الذي تمادى في بث حبه لها
في المرة السابقة .. قبيل ضلوعها بتلك المهمة النكراء .. وقيل ترحالها إلى هذه البقعة البغيضة
من الأرض .. ذلك المكان الذي أكل والدها حيا ..

قالت في دلال : ألن تخبرني باسمك ؟ .. قال : لقد أخبرتك ..



إحتضن يديها بيديه وقال بحنو بالغ : لن أكذبك بعد الآن شيئاً .. أنا المسخ الذى كان يحجرك
أنا الرميم الذى أرق بالك .. أنا الوحش الذى دمر قريتك وأنا فارس أحلامك .. "زاي"

لم تكن تتوقع ذلك .. ما الذى أحضر ذلك المسخ المتحول فى هذه اللحظة لحظات .. عقدت الدهشة
لسانها .. مزيج من الدهشة والإستغراب والخوف ما الذى أدمج المسخ "زاي" فى فارس أحلامها

وإستطرد متابعاً كلماته : أنا كل من قابلت هنا .. فأكوننا متداخلة .. كلنا ذائب متشايك .. وأنا
خرجت عنهم كما خرجت زوجتى من قبل وقتلتها ..

أفكار سوداء كانت تحوم فى رأسها لتفرض يكارته وتفتت ذاته المتهزلة تسابقت الغريبان
وحامت محلقة حول "زاي" .. ناعقة تشق الصمت وتزيد من كآبة العالم الغريب ..

قالت : ووالدى المسكين ...

رد عليها : كان مصيره محتوماً .. فقد تلوث بالتعامل مع أعداءنا .. لكننى أرجأته ليقوم بمهمة
فى صالحى .. كان يجب أن يموت .. حملها بيد من حديد وشق ظهره لتبرز أجنته خارجه ..

إنتابتها إغماءة وهزيان وأصيب عقلها بالشلل .. ظلت تصارع الفهم والإستيعاب فهى تتعامل
مع كون لا تسرى فيه حقانقنا .. كون تداخل مع كوننا فى شخصها هى .. لاتعرف فيه مقادير
ولا موازين ولا منطق قياساتهم مختلفة شاذة وذلك المسخ الذى أحبها كثيراً وأحبته
لحظات .. أرحبها وأرهقها .. وقتل أباه ..

أطلقت العنان لخيالها الجامح ليصور لها أشياء هى ضرب من الخيال ناهيك عن ذلك الشعور
المبهم الذى لم يغادر عقلها ..



فى لحظة وجدت "هاجر" نفسها وهى بين يدى "زاي" المسخ الدميم يحملها قارداً جناحيه طائراً بين الركام والدخان الأسود الذى بدأ فى الاتدلاع من ثنايا الأرض الجبلية ..

وصل بها إلى السحاب فنشر جناحيه فى ثبات .. وهام فى هدوء كالحدات فى أعالي الأجواء

أصبح جسده متكاملًا ممشوقًا متناسقًا مكتنز العضلات .. ووجهه أصبح وسيماً راسخاً .. كان حينئذ يستحق أن يجسد فتى الأحلام بحق ..

قال "زاي" بصوت ملاءه الأسى .. لأول مرة يحمل صوته إحساس بهذا العمق : .. ألم أقل لك .. نحن نتواجد حيث يعم الدمار .. هذا من صميم كوننا .. والكاننات تعيش على رفات غيرها

نزل بها إلى صحراء أمنة وإستطرد :

لم أقتل من لم يستحق .. كلهم إستحقوا هذا ومنهم أعدت بناء جسدى ..

لكننى .. إرتكبت الخطيئة ثانية .. لقد أحببتك .. والحب عندنا خطيئة لا تغتفر .. الحب عندنا أيضاً شر وقتل ودمار .. وقد قتلت زوجتى لهذا ..

لكننى مع هذا أحسست شعوراً إنسانياً نحوك .. أحسست نحوك شيئاً آخر .. لن أسمح لنفسى أن أتمثل بالبشر ..

مدت "هاجر" يدها إلى صدره وإقتلعت قلبه ليذهب إلى الفناء مرة أخرى .. ولم يمانع ... فقد ترك داخلها جزء منه سوف يحيا يوم ما مجدداً حياته ..

ذلك الجزء تركه داخلها عندما حلمت بفارس الأحلام الذى سألته عن اسمه فقال "زاي"



زين



تحاملت "هاجر" وسارت عائدة تحمل على كتفها هموماً أكبر منها لم تعد أدراجها إلى القرية .. بل إلى القاهرة رأساً .. حيث بقايا العائلة الشحيحة .. لن يستفسروا عن شيء فالعلاقة منقطعة منذ توفيت والدتها .. هم بالكاد يعرفونها اسماً .. رجعت إلى خالتها "صفية"

فلن تتحمل سؤالاً لا تستطيع الإجابة عليه ..

مضت الأيام كالحبلى تسير ببطء ورتابة ... الساعات تتأكل أمام التغافل تشعرها بالتوجس مما هو قادم مع الأيام .. أيامها قلب جريح ينبض دماً يوماً وراء يوم مضت آلة الزمن وكان محركها عطب فراح يسرق من الساعات حلوها ... كانت تدرك أن لا تهمة طالتها ولا جريرة ارتكبتها ... لقد حلمت بفارسها الأبيض فقط كما تحلم كل الفتيات .. ولم تكن تعلم أنه من كون آخر .. ورغم أنها وضع بذرتة داخلها ..

تحددت لديها شارات رزوخ الزمن الثقيل كان بيت خالتها في القاهرة زنزانة أوت إليها مختارة .. أو تابوتاً تضع فيه حملها الثقيل دون تفريق لنور الصبح أو غيش الليل ...

سرق الفارس منها زمنها .. إقتمها فجعلها خارج الحياة ... حولها الى نفاية يتقاذفها الإزدراء تشبثت بأخر هزيع من ليل عمرها .. والناس كعادتهم في غفوة لا يريدون الإستيقاظ .. لا أحد يمد للأخر يداً ..

أعلمت الجميع أنها التزمت ببيت العائلة في القاهرة تلك السنة .. وأنها تزوجت من أحد الأقرباء وبعد أشهر مات تاركاً في أحسانها حملاً .. والناس في القرية تصدق كل الأقاويل سريعاً

كان هذا تعليلاً لعودتها وعلى ذراعها طفل رضيع ... ذا أشهر قليلة وضعته عند أقربائها في القاهرة ..



كانت الساعة تزحف يتأفل نحو الثانية بعد منتصف الليل ... أيقظتها الخالة "صفية" ... فقد كانت البارحة حلبة صراع فى المنزل أنهاها زوجها يحلف اليمين ألا تمكث "هاجر" فى البيت من الغد

فتحت عينها ... تطلعت فى وجه الخالة .. هبت بهدوء حذر .. أمسكت الخالة بذراعها تساعدها حملت بعينها فى الوليد وقالت من بين دموعها : رعاك الله يا بنيتى ..

حزمت متاعها وحملته مع وليدها .. حملان ثقيلان على النفس قبل البدن ..

أمر الزوج العجوز الخالة أن تخلق ابنة أختها ووليدها من البيت فقد فاض الكيل .. وضاق بهما صدره .. هو أيضاً يشك فى سير "هاجر" .. ولم ير لوليدها أب ..

ليس امام الأم الصغيرة غير اطلال بيتها بقريتها فى السويس .. أفلت عاندة .. تحمل هما أكبر منهما .. ستعيش حد الكفاف .. وتحاول الرجوع الى عملها الذى تركته فليس لها مورد غيره اللهم قطعة الأرض الصغيرة حول منزلها فى القرية وربما باعت البيت أيضاً وبحثت عن دار صغيرة بالإيجار ..

مبدأً سوف تبيع الأثاث ... لتسد رمقها ربما أيام قليلة ... وفى ميدان أحمد حلمى برمسيس ألقت بشئطتها الصغيرة الثقيلة على نفسها فى خزانة متاع العربية التى ستوصلها الى السويس أراحت ظهرها على الكرسي المكتنز فى الخلف ... فحركة الوليد سوف تورق من يجلسون بجانبها لو كانوا ثلاثة .. الكرسي الخلقى يسع إثنين .. وربما إزدراه الزبائن وبقي خاليا ..

لكنه للأسف شغل قبل المضى مباشرة .. جلس فيه رجل ذا سحنة غريبة .. لحيه كتفه متصلة بشعر كثيف تسللت إلى فوق أذنيه وتفشيت فوق صدغيه النافرين ... لكنه كان نحيفاً والحمد لله .. عيناه كانتا ضيقتان سوداوان تخبئان وراءهما ما لا يمكن للنظر سبره .. كعيون الغربان



تعوزت "هاجر" في سريرتها واستعادت .. فقد ذكرها هذا بماض قريب لم تكن تريد تذكره ..
ازادت من استناد ظهرها للمقعد وأسلمت جفניה انغلاقاً .. العربة تحركت لتوها .. والوليد نائم
والشمس لم تسطع بعد .. فرصتها اليسيرة للاسترخاء ..

لم ترحمها الذكريات .. أنت تلح في جلدها .. "كيف لم يحررتي الموت من هذا العذاب؟" قالتها
في خاطرها ضمن آهة خرجت منها .. وقال من إلى جوارها في نفس اللحظة "الصبر على
الأيام ظفر عليها وانتصار" كلمة عابرة تقال دائما .. يقولها المرء بغتة دونما موضوع
أم ترى أنه قرأ ما في عقلها وأجابها ناصحاً؟؟!! ..

تفكير ساذج .. أسلمت جفناها مرة أخرى للتعلق .. وعادت الذكريات للهجوم عليها ... طرحت
حكاية "زاي" جانباً فقد أرققتها وحدها لأيام طوال .. واحتفظت بالقصة في باطنها .. لم تخبر
أحداً ولو قالت قلن يكون هناك مصدق ..

تذكرت السنة التي عاشتها في القاهرة عينا على خالتها وزوج خالتها الذان لا تربطها بهم إلا
صلة دم قطعت منذ زمن ..

تذكرت عندما خطر لها خاطر ربما كان خبيثاً وربما كان فكرة مستحسنة ... أو احتجاجاً على
مرور عربة الزمن من أمامها دون أن تقلها ولو لمسافة ما ألم تكن تحلم أن تتركب قطار
الحياة يوماً .. منع اشتغال أباه بالسحر عنها شبان القرية .. وهاهي الآن تحمل رخصة أرملة
تعمل صغيراً .. لن يتقدم لها رجل أبداً ... موقنة هي بذلك ..

لمن تهدر هذه الأنوثة ... لمن تبيع عمرها بلا ثمن ... لمن تتفتح الوردة .. هل خلق جمالها
لصحراء الذات البعيدة دون إحساس .. هل الأنوثة خلقت لخنقها خلف الأبواب .. أليس الذهب
دائماً يعرض في الواجهات ... أم يغطي ويدفن في زوايا النسيان ...



كادت تستفيق من غمامة الهم الثقيلة و تتخلص من عناد الذكريات .. وتعود الى أرض الواقع وهي تحاول جذب عقل عقلها لتنام الطمأنينة فوق رأسها المصاب بتأرجح التذكر المزمّن وسيرته الخبيثة .. لعلها تطلق أشلاء المعصوية بعبودية الجسد المقيت أو يحررها الموت طوعاً

طفحت سنين السجن داخلها .. لماذا كافأها الزمن بهذا الهدر .. غداً ويا لقساوة الغد .. يتهدل الجسد وتغور الأعين ... ويمسح الجمال وتترهل الأفخاذ وتتخشب الشفاه وتستتر الأنوثة

على حساب من ...؟ وهل الزمن يراف بما يحصد ويفنى ... أتكون حياتها منحصرة في المسح "زاي" أو حلم قارس الأحلام الكاذب المراوغ أم أن الحياة تبكي على شيء مهدور ...

فتحت عينها عنوة ... صراخ وهرج بالعربة ... سنة من النوم القيت على السائق .. كاد أن ينزل بهم إلى صحراء جانب الطريق .. حينها حتماً كانت العربة لتتقلب ... ولحظت شينين .. اعتدال العربة في الوقت المناسب .. ربما لتقيظ السائق فجأة ... وذلك الوميض الذي مر من جانبها نحو مقدمة العربة .. أيكون مصدره عين الجالس إلى جوارها من بداية الرحلة ..؟؟؟

أم أنه وهم صنّعت الأحداث التي مرت بها في الماضي فأصبحت شبه مجنونة كما يقولون عنها والواقع أنها كانت شبه عاقلة .. هي تعلم هذا عن نفسها .. لكنها تحاول المقاومة

اعتدلت في جلستها ثانية .. فالصغير مازال نائماً رغم الأحداث .. تداعت صور الحياة أمامها جاءها في القاهرة عريس من بين تلاقيف البحث ... فخالتها مهتمة كالتساء .. وزوجها يريد من يحمل هذه البلوة بعيداً عنه ..

رضي بها ... ومن ذا الذي لا يرضى بهذا الجسد المتساق الذي يفيض أنوثة .. رضى بالوليد مرغماً ..



ولكن ما بالها ترددت أمام الموافقة .. ألا يعجبها .. إنه على وسامة لا بأس بها .. أعزب .. وموظف .. ولديه سيارة ومن عائلة معروفة .. لماذا ترددت بالجواب وظلت منكسة الرأس لا ترى أحداً وحين قدمت فنجان القهوة اهتزت يدها وكادت أن تسقط لم ترتعش أو تهتز أو تترنج من الخجل كمعادة الفتيات ... لا ... وإنما ... شيء ما فعل هذا ..

سمعت صوت أباهما الحاج "فتحى" يصرخ فى داخلها .. لا يوجد مصباح فى العالم يمكنه إنارة الطريق أمامها .. مخيرة هى الآن أم مازالت مسيرة .. تحت وطأة ما لا تدرى عنه شيئاً

كانت ستوافق حتماً رغم ذلك الشيء فى داخلها يمنعها .. حتى ولو كان إرغاماً من الأهل الذين يريدون نزعها من فوق ثاقلتهم والتخلص منها ... لكن الأمر قد حسم من نفسه ... فالعريس المتيماً لم يأت ثانية .. رغم المساعى والإستفسار .. ولسبب .. لم يقله ..

ظلت السيارة ولدقائق تسير بمحاذاة جانب الطريق ببطء متناه كسلحفاة أباهما العجوز "عیشه" التى سربها من المنزل إلى المزرعة قبل أن يغادرا البيت للجبل .. مما أزعج تفسيرها لذلك الموقف .. هل كان يعلم أنه لن يعود من الجبل ..؟

أزاد من إنزعاجها إلحاح الركاب على السائق بالإسراع .. وعلى الرغم من أن عقلها كان بعيداً عنهم .. سارحا فى الملكوت غير عابئة بالأمر .. ولم تنتبه بالضبط لما كانوا يقولون إلا أنها خمنت أنهم قد ضاقتوا به زرعا ويريدون إستبدال العربة بأخرى من على الطريق .. يحثونها على مرافقتهم ربما عطفاً وشفقة بالوليد ..

تلك العاطفة التى ذهبت أدراج الريح جرياً وتسابقاً على المكان الشاغر فى العربات التى تتوقف رهناً لإشارات أيديهم .. حتى لم يتبق على الطريق غيرها .. وذلك الرجل النحيف الغريب ..

صبراً .. قريباً تكف عربة فيلحق بها .. وتنتظر هى أخرى .. ستقلها مجبرة بعد سويعات



تعبت وأرهقها الوقوف .. ووليدها النائم إلى الآن مستكيناً .. سكون الموتى .. قربت وجهها منه تتحسس أنفاسه لتتأكد .. في تلك اللحظة دوت قرملة طويلة .. ودعاها الرجل الغريب للركوب فلم يكن بالعربة التي توقفت سوى مكان واحد ... شاغر

العربة كان بها ثلاثة رجال والسانق .. وكانت من تلك التي يركبها خمسة فقط .. سألوها وقالت :

إني ذاهبة إلى عتاقة وردوا في نفس واحد .. : إنه طريقنا .. وكأنما كانوا قد جهزوا إجابتهم من قبل على أطراف السنتهم ..

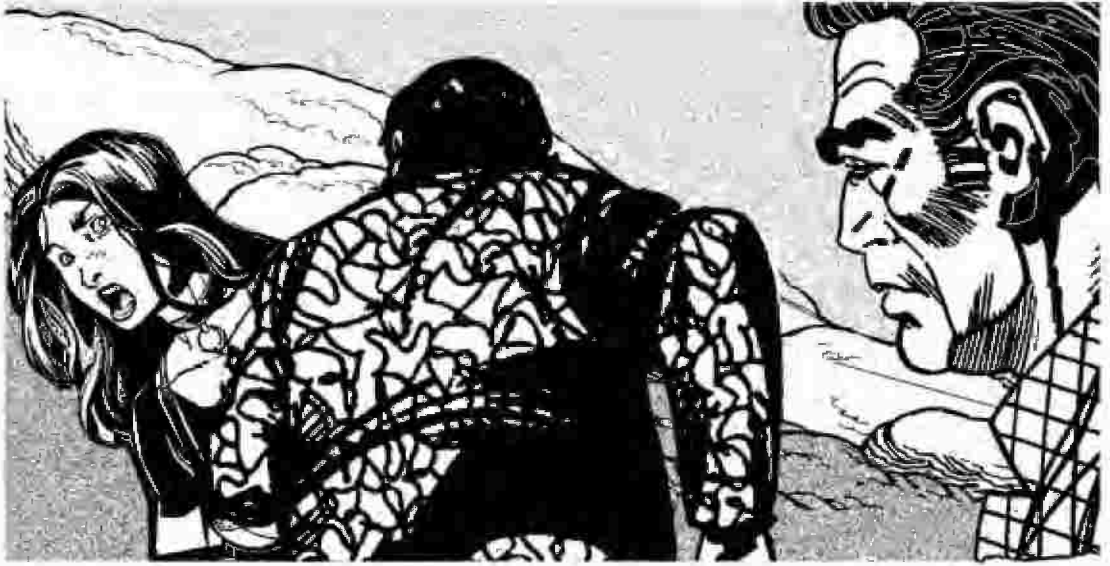
سرت لهذا .. فلن تضطر لركوب عربة أخرى من السويس إلى القرية فقط ستمشي قليلاً لتصل إلى البيت .. فتوفر قروشاً قد تنفعها ..

لفحتها عذوبة الهواء والسيارة تدخل أول منعطف .. رطب وجهها نسيم ما بعد الشروق العليل قدسعت عيناها وانتعش قلبها بنسيمات الخريف الناعمة الرقيقة ..

وما دام الإنهاك لم يهد مفاصلها يعد قستواصل السير بعزيمة ودونما كلل ... إنه قدرها الذي لا فكاك منه

وأهل القرية المتطفلون دائماً للوك سير الناس ليعتقدوا بما يشاؤون فما عادت تهمها كل أعتقاداتهم ... ما عاد يهمها سير ركب الحياة أصلاً .. عادت إليهم إنساناً آخر سيتذرع بإجتنب الجميع قبل أن يجتبوه ..

مضت السيارة في طريقها تنهاوي في سيرها كحمار أرهقته الأحمال بينما أخذها حلمها بعيداً وحلق بها عالياً ... ستعيش ووليدها متمتعة بالوحدة التي طالما كرهها الناس هذه الوحدة هي ما تحتاجها وترنوا إليها .. ولتفعل الأقدار ما يحلو لها ..



لاحت منذنة مسجد القرية شامخة وبانت أغصان الأشجار المتعانقة.. وظهرت البيوت الحجرية العتيقة متناثرة على امتداد المساحة الخضراء المترامية الأطراف .. جالت بنظرها بين الوجوه الراكبة في العربة ولم ترتاح إلى تلك القسمات ..

ما لبثت العربة أن حادت عن الطريق ودخلت في منطقة هيش مهجورة عبر طريق ترابي غير ممهد .. أوصلهم إلى جانب غير مرتاد من مقابر القرية ... وهناك توقفت العربة ونزلوا منها جرها أحدهم من ذراعها وعلى وجهه شراسة وقحة تعافها الصواري ..

قال تعال يا حلوة .. تمسكت بوليدها الذي فتح عينيه لتوه .. انفلت الوليد وسقط أرضاً .. صرخت قهقهوا و قال أحدهم : ليمت الآن ويوفر علينا العناء .. أما أنت فتعال لتعيشين في أحضاننا

استعد وحش منهم لركل الوليد بقدمه .. سيسوط البنات في المرمى .. وفعلاً .. فعل ... لكن يساق مبتورة حالاً .. شاط الخواء بساقه التي لم تعد موجودة .. صرخ صرخته الأخيرة .. فقد التوى عنقه أيضاً وفارق الحياة .. الثلاثة الآخرين في نفس اللحظة أصابهم ما أصابه .. ارتموا على الأرض سوياً وأعناقهم مكسورة في عنف إختلاف واحد فقط ... من كان يجز "هاجر" بيده كان ميتور الذراع ..

العجيب أن لم تسمع بكاء الصغير .. احتضنته في صدرها .. لم تسمع له نفساً .. هادئ هو إلى هذه الدرجة أم أنه قد قضى نحبه .. حمدت القدر .. عيناه قالتا أنه مازال حياً .. ذلك الوليد الذي كان سبب نكبتها .. ذلك الوليد الذي أقحم نفسه على حياتها من خلال حلم حلمته ..

ذلك الوليد الذي لا تعلم من هو أباه بالضبط .. لكنه أحال حياتها إلى جحيم مطبق ..

كان حرياً بها أن تدفع به إلى القبر حال ولادته .. لكنه جزء منها .. أطلقت زفرة ألم وعضت أصابعها حسرة وهي ترتاد الرمال لترتقي إلى الطريق مرة أخرى .. ضج دماغها وتشبع خيالها هزباتا وتوها .. من أودى بحياة الاشرار بهذه البشاعة .. لا تعلم .. بل هي لا تريد أن تعلم ..



بعد ثلاث ساعات وصلت قريتها التي تتوضع بمهاية على حافة سهل كانت تراه فيما مضى جميلاً .. ذلك قبل أن تختزن أعماقه أسرار وتفاصيل غريبة لا تصدق وقبل أن تشرف على أرضه الواسعة بطيب هوائها ومياة البحر الرقراقة أنفاس المجهول .. يتهادى الموج إلى الرمال و الصخور ليغزف سيمفونية رائعة وتطل صخور جبالها على القرية البائسة ...

أخيراً .. خطوات وتصل بيتها .. ميراثها من أباها .. كل ما عادت تملكه في الحياة

لكن ما الذي حدث في السنة الماضية .. المزرعة جذباء أحاطها سور منيع من الأسلاك وبعض الطوب اللبن .. لم تهتم كثيراً ... صعدت الدرج اليسير وفتحت الباب العتيق بمفتاحها .. فبالطبع كان في متاعها عندما تركت وأباها البيت آخر مرة .. كان بشنطة متاعهما إلى الجوار مع قلب "زاي" الذي استرده ثم نزعته هي من صدره إنتقاماً لقتل والدها .. كم تكره هذا الكيان المبهم ..

دخلت البيت .. كان كما تركته منذ سنة وبضعة أيام .. إلا من بعض تراب الزمن جهزت ما استطاعت من سبل حياة فقيرة أعدت نفسها لتقبلها .. الوليد عنده غذاءه في صدرها .. لكنها هي الجائعة .. لا أحد في الجوار .. البيت منعزل .. ولن تتسول من أحد حتى لو ماتت جوعاً .. ما هذا الذي تسمع .. حوار بقرة إلى جانب البيت

أراحت الصغير ونزلت وفي يدها أول إناء وصل إليه يدها فلو غادرت البقرة لن تجد ما يسد رمقها .. إقتربت منها في مهل وحلبتها شاكراً ..



فى غرفة الكرار بالطابق العلوى من المنزل أثارت إنتباهها حركة مريبة خلف النافذة
إقتربت بحذر منها .. وما أن رفعت الستارة الرثة عنها حتى طارت حمامة مذعورة بعيداً فى
الهواء ... ثم ما لبثت أن حطت على سطح المنزل أه ... لقد عششت تلك الحمامة هنا أثناء
غيابها وخلفت بيضة .. أخذت تتأملها ساكنة لوهلة ثم عادت لتجلس إلى جانب وليدها

دس الوليد رأسه الصغير فى صدرها يرشف الحنان .. بينما تواصل هى إجتزار الذكريات وتمسّد
شعره الناعم .. وسرعان ما سمعت رفرقة الأجنحة .. عادت الحمامة إلى النافذة بعد أن اطمأنت
عادت إلى عشها لتحضن بيضتها أو لتضع البيضة الأخرى فعادة تضع الحمام بيضتين فى كل
مرة .. ماأشد تشابه الحيات ..

ظلت "هاجر" تردّد على تلك النافذة تراقب الحمامة التى اعتادت إقترابها المسالم ولم تعد تفرّج
لمرأها .. وأحياناً كانت تجد البيضتين فقط وقد تغيبت الحمامة لتحمل بعد برهة شيئاً من القش
أو الغصينات تنسّقها فى عشها .

وفى المساء كانت تتابع نشرة الأخبار التى يبثها التلفزيون العتيق وتوالت الاتباء من جميع
الأنحاء .. فيضانات مروعة تجتاح أفريقيا التى أنهكتها المجاعة والحرب الأهلية وقتل المئات
مذبحة جديدة تقتربها الجماعات المسلحة فى الجزائر .. ذهب ضحيتها مئات القتلى فى قرية
واحدة ... المئات يموتون يومياً فى العراق بسبب الحصار ونقص الغذاء والدواء .. زلزال فى
أندونيسيا.. أ يكون قوم "زاي" قد زاروا تلك المناطق .. هم يتواجدون ساعة الخطب ؟

فى اليوم التالى حملت أعينها فرحة .. البيضة تفقس .. الفرخ يكسر القشرة برأسه .. بمنقاره
الصغير .. يخرج منها بصعوبة ... لم يقم أحد بتعليمه .. إنما هى غريزة الحياة ..

نظرت بإشفاق لهذا المسكين ما أضعفه .. ما أصغره .. ما أشبهه بوليدها الواهن .. ما أملس
جسمه العارى من الريش ..



لم يخرج من البيضة تماماً .. ارتمى بنصف جسمه على الأرض .. لا يتحرك ... هاند ساكن
أنه ميت... يا إلهي .. أين أمه ؟ ماذا يمكنها أن تفعل ؟ مدت يدها تبغى مساعدته ؟ .. لكن الأم
جاءت .. سحبت يدها بسرعة .. خافت أن تجزع الأم وتهمل الصغير ..

عندما أويت إلى فراشها تلك الليلة محتضنة وليدها لم تستطع النوم .. فقد كانت الحمامة في
النافذة العلوية تتوح نوحاً شجناً بلا إنقطاع ..

تذكرت ماضٍ كرهته .. نقاشات عائلتها بالقاهرة ..

"ألم تلد هاجري بعد ؟ .. ألم يسأل زوجها أن كان هناك زوج ؟ .. هذا أسبوعها الأخير .." الخالة
وزوجها يتساءلان كثيراً .. يلزمانها كالظل .. يتشككان في رواياتها ..

رد الرجل بصوت خشن يخالطه التجهم .. وضعها محير وحكاياتها متضاربة ..
وتقول الخالة : ماذا يدور في رأسك؟ فيرد عليها : ما من شك هذا الوليد ابن سفاح ..

لم ترد "هاجر" تابعت الحياة وكأنها لم تسمع .. لم تكن مستعدة لكشف أوراقها وقضح ما آل
إليه المصير .. فلن يصدق أحد روايتها الحقيقية .. فكرت قبلاً أن تتخلص من الحمل في أوله
كثيرات يفعلن هذا .. لكنهن مجرمات ..

صحيح أنها ضحية .. طفلها ينمو داخلها بصورة طبيعية ... عاطفة الأمومة سيطرت عليها ..
أبداً لن تنزع عن الطفل حياته .. لا ذنب له ولا لها .. وكل جهد يهون مقابل النيات ..

سكنت حركة الطفل وتوجسوا أن مات داخلها .. فرحت الخالة وزوجها .. أما هي فبكت بكاءً
مراً .. كانت تتوح كنوح الحمامة في الشباك العلوى ..



قال الطبيب : اصبري وإبتعدى عن الإجهاد والتوتر .. كيف تصبر وقد تحدد مصيرها ؟! أضاع جنينها حقاً ؟ بالأمس كانت بكراً فمتى لحقت بها دودة البغى بهذه الشراهة فنزعت منها كل نفاؤل بالحياة وأبقت لها أفكاراً غائمة تتصارع في مخيلتها .. لا تعرف كيف تميزها أو تفسرها أبداً .. الشك والعار يلاحقانها ..

عليها أن تسرع الخطى لتصل قبل أن تغور قواها فتقع ... وقيل أن يعاودها الخزي فيلازمها طويلاً .. يجب أن تترك بيت خالتها بأسرع ما يمكنها .. وسوف ينسون .. ويطوون صفحتها

تصل بيت أبيها في عتاقة لتبدأ الكذب من جديد .. فتقول أنها تزوجت وأنجبت ومات زوجها في السنة الفائتة ..

ما حدث أفسد طموحها وأمالها في الحياة .. لكنها ستبذل ما لديها من طاقة لتنفيذ ما عزم عليه .. سيحيا الطفل رغم أنف المكان والزمان ومن يعيشونهما ..

بهذا وحده تحقق إنسانيتها وتشعر بالراحة .. الإصرار سيخفف عذابها .. لولا هذا الابن ما عادت وإن كان هو مصدر كل معاناتها .. لم تتوقع أبداً أن تكون حياتها هكذا خالية الوقاض من كل شيء .. إلا ابن بلا نسب ..

لاح بصيص نور الفجر ويدأت النجوم تستتر لاحقة بالليل المسافر .. سكت صوت الحمامة في الشياك العلوى .. لايد أنها استسلمت للواقع .. وصدقت موت فرخها الوليد ..

كل شيء بدا واضحاً .. بكت هاجر أيضاً .. لن يفلت أحد من مصيره .. صعدت الدرج .. كشفت الستارة الرثة عن الشياك .. كانت الحمامة تؤكل وليدها أول لقيمات عمره .. لقد تحدى الفرخ الموت وأثر الحياة ..



ليتها تجد "زاي" هذا مرة أخرى لتنهشه .. أحبها وأعطها نذالته وخسته وكان وراء موت أباه طمع في استعادة قلبه ليحيا وتشبث ببناء جسده على حساب أجساد الآخرين .. ثم أهداها هذا الوليد .. رغماً عنها .. ومعه الخزي والعار .. لكنه في النهاية ابنها ..

كان من المحتم نزولها إلى شوارع القرية معلنة مجيئها ومعها طفلها .. ولتشتري بقايا قروش معها زاداً تاكله .. صدق الناس روايتها سريعاً .. إقتضبوا الكلام لم يسألوا عن المرحوم والدها الذي واقته المنية بالقاهرة كثيراً وربما أراحهم موت الرجل الذي توخى الأعمال وطقوس السحر .. العجيب أن أحداً لم يتذكر أيام سوداء مات فيها من مات وتحول لونهم فيه للون البنفسجي القاتم .. وفارت الأرض تاكل من عليها منهم ..

الخبر الآخر الذي كان يخصها .. أن المرحوم والدها كان قد باع مزرعتهم الصغيرة حول المنزل إلى "المتياوى" عمدة القرية بالإجبار .. فلم يكن هناك منصبا يحمل هذا الاسم .. لكنه كبيرهم وأغناهم مالا وأكثرهم غزوة ..

فهو قادر على حرق المحاصيل وقتل المراوغين وتسليط ذوى السطوة من رجال الحكومة عليهم ولكثرة أعماله الشريرة إنصاع له الجميع وكان هو اليد التي لا يقدرّون عليها وعليهم تقبيلها

ذهبت "هاجر" إليه وفاتحته في أمر المزرعة فأجابها بطيبة مصطنعة وحلف لها أن أباه قد باع المزرعة ... لكن الأمر لم يستوى مع تأكيد "هاجر" بأن هذا لم يحدث ..

عندئذ إنقلبت سحنته وكشف عن وجهه الخشبي وأبرز أوراقه التي ادعى أن أباه باعها بها الأرض منذ مدة وإستلم المبلغ كاملاً وعرض عليها ورقة البيع والشراء ممهورة بتوقيع أباه ومذيلة بشهادة "حمودة الطناحي" و"سعدون الناجي" وإشراف المحامي "عوض السنهوري"

كانت تعرفهم بالطبع .. فهم من حثالة القرية شاهدي الزور .. ضاعَت المزرعة الفقيرة أيضاً



أزعنت وصدقت على كلماته مرغمة غير أن الحيرة لازمتها .. الحيرة في النفود فمتى أخذها أباه وقيم صرفها ؟! وأقسمت أنها لم تسمع عن البيع شيئا ولم تر مليما واحدا .. خاصة وأن والدها لم يكن ليخفى عنها أمرا مثل هذا

عادت أدرجها حاملة صغيرها إلى بيتها الفقير .. لا عائل لهما يمددهما بنقمة عيش .. في السوق شاهدت ذلك الرجل النحيف غريب الهيئة الذي ركب معها عربة الأجرة وفارقها على الطريق يبدو أنه من أهل القرية .. أو ربما كان زائرا .. لم تعط للأمر بالآ فهو لم يشهد المعركة التي دارت ناحية المقابر ..

نظرت الخبز المعروض بإشتياق عند الخباز .. كانت جانعة .. لكنها أثرت الاحتفاظ بقروشها فقد إنقطع عنها المدد نهائيا .. حتى مزرعة البيت أخذت منها .. وربما استعانت بما معها من قروش لتركب مواصلة إلى السويس ساعية لأي عمل ترتزق منه .. ناولها الرغيف الذي نظرته كان هو ذلك الرجل النحيف ذا الهيئة الغريبة .. هزت إليه رأسها وعلى وجهها ابتسامة شكر تعففاً .. أصر على موقفه .. زجرته فهي لا تريد إحسانا .. وألقت بوجهها إلى الجهة الأخرى

سمعته يناديها .. قال بنيتي أنا عمك الحاج "عرفة" ألا تتذكرينني .. التفتت ثانية .. كان من يحدثها هو صاحب القرن وليس الرجل الغريب .. تلفت يمنة ويسرة ولم يكن الغريب موجودا على مدى البصر .. قالت لصاحب القرن الذي كان صديقا لوالدها : أين ذهب الرجل الذي ناولني الرغيف .. همهم الرجل مستغربا وقال : لم يكن أحد هنا غيرنا .. أنا وأنت فقط ..

تناولت الرغيف وأخرجت من جيبها ثمنه .. رفض الرجل رفضاً باتاً .. تركته ومضت شاكرة

في نفس اليوم إنقلبت سيارة في حادث أليم وطارت روح المحامي "عوض السنهوري" إلى السماء ... بينما سقط "سعدون الناجي" من شرفة منزله مباشرة على رأسه فشجت أما "حمودة الطناحي" فقد وجد في بئر الساقية العتيقة ميتا ..



وجاءها "المنياوي" راعياً يستسمحها ويمزق عقد البيع المزور .. تهته وقال أن روح المرحوم الحاج "فتحي" قد أتته في المنام وأمرته بهذا .. لم تصدقه "هاجر" بالطبع لكنها قبلت الأمر

استقبلها بعض أهل القرية بترحاب مصطنع وأمطرها آخرون بالقبل على غي المتوقع ومعها أسئلة لحوحة مستغربة :

.. أين كنت ؟ ماذا فعلت ؟ متى تزوجت ؟ كيف مات زوجك ؟ مع من كنت تعيشين ؟
لم تنبس بحرف حقيقى إكنفت بالتطلع إلى وجوههم الصفراء المثقلة وموجز من الأكاذيب المقتضب .. تعجبوا غاية العجب عندما أخبرتهم بموت والها في القاهرة ..

قالت "سنية" إحدى زياتن والدها في أعمال السحر هامة : أنا أرى والدك الحاج فتحي كثيراً يأتى من صوب الجبل ويمشى في الشوارع .. لكنه لا يرد على أحد .. وهممت معها النسوة الحاضرات مؤمنة على كلامها .. البعض يظن أنه لم يموت وهناك الكثير من الشائعات عن رويته في عدة مناسبات ..

بهتت .. تطلعت إليهم بعينين ذاهلتين .. تحركت شفاتها وانفراج ثغرها لتتطلق منها كلمة مدوية لقد رآته بعينها ميتاً .. لكنها سكنت .. فالغرائب عادت طبائع بالنسبة لها ..

ولأنها أكثر الجميع معرفة بالقرية تعرف كل شيء عن أحوالها ... ناسها وبيوتها أزقتها وشوارعها .. أعشابها وأشجارها .. حصياتها وصخورها .. أوديتها ومنحدراتها ومرتفعاتها تركت طفلها نانماً في السرير .. عابت المكان وتقحصت الأرجاء ثم صعدت إلى أقرب تل ومن قمته ألقت نظرة على الجبل والتلال المجاورة .. بقيت ما استطاعت هناك وفي رأسها أمل ... لم تترك المكان إلا بعد أن استعدت الشمس للمغيب .. فالوليد الذى أسمته "حسام" في المنزل وحده ..

رجعت للبيت .. ارتقت السلم البسيط .. وعند الباب كانت هناك حصيرة وعليها أطباق .. طعام طازج لم يزل البخار يتصاعد منه ..



قد يكون القاعل إحدى نساء الجيران .. على سبيل الكرم .. لكن الكرم هذا لم يكن معهوداً من أحد .. علاوة على أن الطعام الموضوع كان كله مما تحبه وتفضله من أصناف وكان من طهاة هو أبوها الحاج "فتحى" كما كان يصنع فى حياته ..

أكلت .. وثقلت معدتها .. أرضعت الصغير الذى لا يبكى أبداً .. أراحت رأسها .. أسدلت جفنيها وفتحتهما ..

امتألت الحجرة بأناس آخرين .. ماهذا ؟... أكتاف الآخرين تقتحم عظام كتفيها وأنفاسهم تكاد تخترق الأذان بصوت فحيح ورائحة عطنة

نظرت إلى قدميها تريد أن تتحرك ولكن من أين تجد مساحة الحركة .. رفعت رأسها لأعلى ربما وجدت قليل من الهواء يتسلل من النافذة .. لكن الجدران أصبحت صماء يسيل عليها سائل لزج .. والضوء شحيح بالكاد ترى عذاب تواجدها مع أشباح تتزاحم فى الحجرة .. تجول فيها الهوينى وتنظر إليها بعيون ياردة كالثلج صماء كالحجر منزوعة الروح ..

صرخت ماذا تريدون منى لماذا تزاحمون أنفاسى ؟ .. كيف تسلبون هوائى الذى أنتفسه ؟ .. ولم تسمع مجيباً .. زاد التدافع وتطاحن الأكتاف .. وأصبح الهواء دخل صدرها محض كرايبج إفعوانية تلهب قلبها .. تصيب العرق من جسدها .. لم يجد مكاناً يتساقط فيه ..

برزت من وسطهم عجوز شمطاء قالت لها .. : إعتنى بابنتنا "زين" هو منا وله عندنا الكثير

ظل العرق المحمل بكل الهموم متشبساً بجسدها وزاد إندفاعه حتى تهاوت من فرط ثقله صرخت بأعلى صوتها تستنجد .. ولا مغيث ..



سمعت صوت طقطقة عظام جسدها وهي تتحطم وقرقرة بقايا تطحن .. تركتها الأشباح إلى نفق مظلم ظهر في جدار الغرفة .. بدا عن بعد في النفق وشوشات ضوء قادم و هينة كهينة أباها .. لكن الصوت .. كان صوت "زاي" .. كان يقول "زاي .. زاي" .. تأملت الكلمة جيداً ... لم تكن "زاي" ... كانت "زين" ..

تذكرت ذلك الاسم ... "زين" لقد اقترحه واستحسنه الجميع عندما ولدت الطفل .. لكنها رفضت الاسم لأنه عتيق عفا الزمان عنه .. وفضلت أن تسميه "حسام"

فتحت عيناها ونفضت عنهما الكرى فقد كانت على الأغلب تحلم ... كادت أن تهم من مقعدها بعد أن تصورت حلمها للحظات لكنها أنتبهت .. ليد الصغير التي امتدت لتعانق يدها في رقة

اختلست النظر إليه .. وقلبها تتسارع دقاته .. مرت اللحظات مرتابة فقد لاحظت في عينا الصغير أكبر من أن تكون نظراته .. تلمست شفتيه .. فاندفعت من بين ثيابا وجهه ابتسامة شقت غمام الحزن الذي لفها منذ جاء إلى الدنيا ..

هل يمكن أن تمد مخلوقات الأكوان يد المساعدة لغيرها من المخلوقات الحية دون أن يروها هم جزء من الطبيعة التي لا نعرف عنها إلا القليل .. وكما تساعد غيرنا تساعدنا الطبيعة ...

هل مات "زاي" وهل مات أباها حقاً و هل "هاجر" ما زلت حية ؟ .. أسئلة نسبية تحير عقل الإنسان القاصر .. وهل الموت فناء أم أنه مجرد مرحلة من المراحل ؟ ..

الموت هو حالة توقف المخلوقات عن النمو والنشاط الوظيفي الحيوي كالتنفس والأكل والشرب والتفكير والحركة فلا يمكن للأجساد الميتة أن ترجع لمزاولة النشاطات والوظائف الأنفة الجسد يبلى ويذول .. لكن ماذا عن النفس .. ماذا عن الروح .. ماذا عن ما لا تعرفه ... ؟؟؟؟





تركت وليدها ذا الأشهر الثلاث وذهبت ثانية إلى الجبل ... لديها قناعة في أن تلتقي المجهول هنا البداية وهنا تكمن الأسرار ..

قبل أن يتهادى نسيم الجبل ليداعب خيالها .. ويهدىء من روع ولهفة قلبها الملتاع .. تراءى لها طيف أباه .. قال لها : "إطمئنى على زين" .. لم تر مخاطبها .. لكنها تذكره إدراكاً فوق حسي ..

فهي عالمة فزيائية سابقة .. تعرف أن ما تمر به هو حالة من الإدراك العقلي وتأثير مادي على الأجسام الفيزيائية دون تماس مباشر معها أو اتصال عن طريق وسيلة ما غير معروفة بشكل تام للعلم المدون المعترف به .. وهو يمثل قدرة للتنفس موجودة عند كل المخلوقات ولكن بنسب متفاوتة .. وتقبل الإنماء بالتدريب .. وإن كانت غاية في الصعوبة .. إضافة إلى أنها تؤثر في المخ سلبياً ..

أما الأشباح وقدراتها فهذا يكون نوع من التحريك العقلي ذا تأثير مباشر "من البيئة إلى العقل" وهذه القدرات مجتمعة يشار لها عادة بإسم "بسيونيك" ... أو "الساي ثين" .. بمعنى الظواهر الروحية .. والإثبات العلمي لهذه الأبحاث محل نزاع وجدال ونقد دائم ... إذ أنه لا يعتمد على الماديات ... لكنه موجود ..

رجعت إلى المنزل منهكة العقل .. مهزومة التفكير .. لتجد ابنها "حسام" هادئ كعادته .. لكنه لم يكن في المكان الذي تركته فيه ... كان متوسداً الأريكة في صالة المنزل .. هل حبا الطفل ميكراً ووصل إلى هنا ؟! غير معقول .. هل دخل شخص للمنزل ونقله من مكانه ؟! .. تفحصت مزلاج الباب والشرقات .. كانت مغلقة كما تركتها .. لا سبيل إلى إيجاد سبب مقنع ...!!!

سكنت .. فلا أحد تناقشه الأمر .. أو يشاركها التفكير .. اعتادت خوض العجائب ... والأمر حتى الآن قيد التحكم .. لكنها أيقنت أن هناك من يعتنى بالطفل معها .. أو على الأقل يحرسه ..



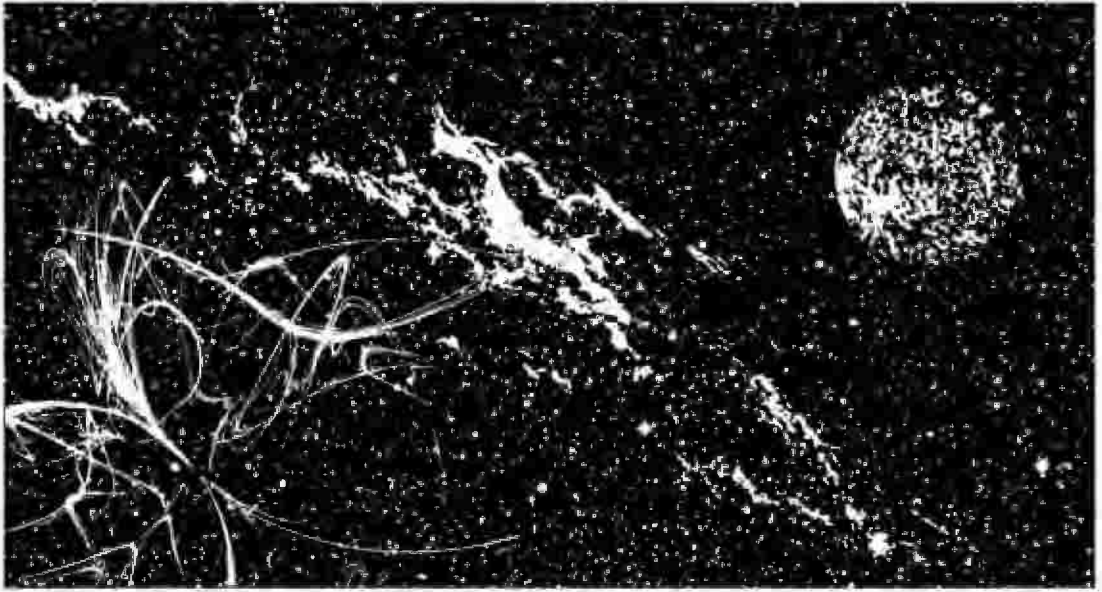
لم يكن ما يؤرقها رقة حالها وعوزها .. فالرزق متاح إلى حد معقول .. ولن تمد يدها إلى الناس أبداً .. ذلك الرزق اليسير الذى يأتيها من دابة ترعى بالقرب من بيتها فتأخذ من لبنها رشقات أو طعام تجده بالياب .. أو نبتة لم تنبت يدها تجدها بمزرعة البيت فتأخذ منها حبوباً تفتتها فلاعمل لها .. ولا تستطيع ترك ابنها وحده فى الدار ..

بدأت الألسنة تلوك سيرتها .. طبع القرويين .. لا يتركون أحداً فى حاله .. الإتهامات المتناثرة من أفواههم والترهات المنطلقة منها .. تحمل فى طياتها تهمة الخداع والسحر وتفت الأعمال السفلية .. حملوها كل ما طرا عليهم من محن .. كما كانوا يحملون أباهما فيما مضى .. "فلانة" طلقها زوجها لأن "فلانة" استعانت بـ "هاجر" لتعمل لها عملاً .. و "ثرتانة" مرضت لأن "هاجر" أصابتها بلعنتها ..

وكتبع القرويين .. تجمعوا على باطل ظنوه حقاً مطالبين بطردها من القرية أو قتلها ووليدها وفى ليلة مقمرة .. اشتدت فيها رياح الليل .. طار الهدوء مع غضبتهما المتطابرة هنا وهناك أتوا إليها وفى أيديهم الهراوات .. هاجموا الدار .. استسلمت "هاجر" لقدرها .. لكن يجب أن تموت قبل المساس بولدها .. ركنته فى زاوية المنزل وخرجت إليهم ..

"المنياوى" عمدة القرية بصرخ فيهم ألا يتعدوا عنها فلا طاقة لكم بها .. أبداً لم يتراجعوا .. هجم أولهم عليها فضربها بهراوته .. طاشت الضربة وأنت على من كان إلى جواره ... هجم آخر وتعثرت فى حجر فوق وقع واصطدمت رأسه بعتبة السلم الحجرية .. لوح آخر يشعل نار كانت فى يده فسقط منها مارج أحرق ثيابه وكادت تمسك به النيران ..

تراجع الأغبياء وأثروا ترك المكان .. لكنهم لم يعقلوا الأمر حق التعقل .. حسبوا أن ما لقيهم من قبيل الصدفة عادت الأم المقاتلة إلى داخل الدار لتجد ابنها "حسام" ذا الأشهر القليلة جالساً وعيناه حمراوان تقدحان تاراً .. لم يكن سنه الصغير يسمح له بالجلوس هكذا لكن الأمهات تفرح وتصدق أى تقدم فى حال أطفالها ..



المجهول الذي نعيه ونخافه .. نتحدث عن الرعب الذي يوجب المجهول .. عن الجانب المظلم من القمر والناحية الأخرى من الباب المغلق .. نتحدث عما ينتظرنا في زاوية المنعطف وعن غريب يقرع الباب بعد منتصف الليل ..

نتحدث عن سبب عواء الكلب متحولاً من النباح وعلاقته بالموت القريب وانتصاب شعر النقط الذي يمتلك من الأرواح سبعاً .. ونهيق الحمار فجأة .. ونقول أنه يرى شياطين الجان ..

نتحدث عن أسرار منسية وفنون بائدة يتداولون سرها همساً ... نتحدث عن طقوس غامضة وقلاع مهجورة .. نتحدث عن كتب كانوا يحرقون من يمتلكها وعن أشياء لا اسم لها ومجربات غريبة مصدرها مخطوطات قديمة كتبت بخط اليد .. مدادها الدم والمسك والنجاسة أحياناً ...

نتحدث عن هذه الأسرار الرهيبة وعن الذين كتبوا عنها أو صوروها أو حكوها بالأفواه .. والحق أن ما ندعوه بالشعوذة لم يأت من فراغ .. هو كالشائعة لابد لها من وجود أساس من الصحة

الغريب أن تتجمع هذه الأحداث في مكان واحد وكأنك يمكن أن تحتوى خيال الإنسان وكوابيسه ومخاوفه في زمان واحد .. وعبارة الزمان هي المكان المرتبط بالزمان ..

والحياة يمكنها أن تمنح أحياناً فضلاً للأحداث الكونية بكل ما فيها من إثارة وخيال ... فنعطينا وعداً وتفى به لكننا في الحقيقة نبخسها حقها .. فالحياة ليست كوناً واحداً بل أكوان يعلم عددها من خلقها ..

صحيح أن عقولنا لا تستطيع إستيعاب كل هذا الخضم الرهيب .. لكن يكفيننا التفكير فيما يتأتى من الظواهر .. مع إقتناعنا بعظمة وضخامة ما نحسه من كون نمثل نحن فيه حجماً لا يستحق الذكر من فرط ضآلته .. فما بالنا بالأكوان الأخرى التي لا تداخل لنا معها ..



من يومها لم يتعرض أحد في القرية لها .. بل كان الجميع يخطب ودها .. أو لنقل يتقى شرها شيخ الحاج "فتحي" يخيم على المكان حارسا .. ذلك ما كانوا يقوله المحيطون بالمنزل من بعيد

كبير "حسام" .. والتحق بمدرسة القرية ككل أقرانه .. كان مثلهم في كل شيء مظهره وملبسه ومأكله .. إلا شيء واحد .. كان صموتا أكثر مما ينبغي .. وإن تكلم قال ما يصفوه بالتخريف أو الخزعبلات رغم نبوغه التعليمي الجميع منه حائرين يتعاملون معه وكأنه ليس منهم فهو ابن عائلة غريبة نسجت حولها الأساطير .. الزملاء والجيران يتجنبونه ويبعدون .. وكان هو أيضا كذلك .. يتغاضى عن همزاتهم ولمزاتهم .. وسخريتهم منه أحيانا ..

المزرعة أيضا نمت إلى جوار البيت وأصبحت تعطي من الثمار ما يكفي للعيش .. لم يكن عندهم من الحيوانات التي يفتخر باقتنائها الفلاحون حيوانا .. اللهم إلا "عشة" .. تلك السلحفاة العتيقة التي ولدت يوم ولد الجد الحاج "فتحي" فقد عادت للبيت بنفسها .. حيوان يعيش معهم لكن لا تنفع منه .. لا يجر محراثا ولا يدر لبنا ولا يلد أو يبيض مايؤكل ...

وتستمر الحياة ككل القرويين ... عن الكفاف لا يحيدون .. وأكثر لا يريدون .. ينهى "حسام" دراسته ويتفرغ للمزرعة الهزيلة التي تعطيهم ما يسدون به رمقهم ..

فرحة التخرج .. أخيرا انتهت عبودية الدراسة القميص والبنطال المكويان والالتزام الصباحي وحمل الهم .. وقراءة ما لا يحب .. ودراسة ما لا يرغب أخيرا جاءت الحرية .. وهجر المبنى الجامعي والرفاق يحلوهم ومرهم ..

ما أروع الشلة حين تكون معك في مراحل حياتك .. الطفولة والمدرسة والجامعة .. وإن كان الوضع بالنسبة إلى "حسام" مختلف .. فلا أصدقاء مقربين .. الجميع يجتنبون مجرد الحديث معه .. اللهم إلا تلك العينان .. فيهما كثير من الكلمات .. نعم .. "رجاء" ابنة "المنياوي" كبير القرية وزميلة دراسة .. كانتا أحلى ما في حياته على البعد .. فهي أيضا لم تكلمه أبدا وكذلك لم يجروا هو ..



ذلك الشاب الوسيم طويل القامة ابن قريتها الذي لا تستطيع أن تطيل النظر إليه حتى لا يلاحظ الرفاق

أحست بالحرارة تتصاعد في خدودها المتوردة إلا أنها وقفت تأمل أن يلاحظ نظراتها العذبة .. عسى يتشجع ويكلمها ولو كلمة واحدة .. إذ يجب أن يكون هو البادي .. هكذا تعود المجتمع ولسبب ما أصبح "حسام" شاغلها

وذلك اليوم وهي عادة اندراجها إلى القرية .. أحست عيون بعيدة كانت ترقبها .. توقفت لتلتفت وتنظر لمن ينظر إليها .. وكان هو .. لم ترى ما كتب بعينه ... لكنها أحست وكان الزمن قد توقف وشرر يتصاعد بالجو .. هربت مسرعة إلى المنزل ... بعيدا عن تلك النظرات الملتهية لم تكن تحس بالعيون التي تختلس النظر .. إعجابا .. وشغفا ..

طارت لدارها كي تحتضن وسادتها .. تحس نشوة وحيورا وسعادة أكبر منها .. لا تعرف لما أصبح حالها هكذا .. لم تكلف نفسها بالأسئلة المتعددة .. بل بقيت تعيش بالعالم الوردي الذي تكاثرت خيوطه الحريرية لتكون عشا صفصافا يهنا به كل طير ..

هي لا تعرفه جيدا ولكنها دائما تراه وتسمع عنه .. خلقه فريد لكنها تراه حميدا .. شديد الرسوخ والاعتداد بنفسه .. كلماته نادرة .. لكن نظرة الحزن تشوب عينيه ثم تلك الأساطير التي نسجت حول أمه وشبح أباه الذي يحوم حول منزلهم

كان على "رجاء" مباشرة عمل والدها بالإتابة عنه في مكتب الإدارة بمحلاته كتاجر للمحاصيل بالجملة .. يشتري من الفلاحين محاصيلهم .. فهي خريجة كلية التجارة وعملها هو الحسابات لكنها لا تظهر للزبائن أبدا .. دائما مكانها غرفة الإدارة ..

لم يورق فرحة تخرجها إلا أنها لن تسبح الفرصة وتراه .. ولو أنه يقطن نفس القرية .. إلا أنه تقريبا لا يغادر مزرعتهم الصغيرة أبدا .. وهكذا مضت الأيام كالسنين ..



ذلك اليوم .. انتفض قلبها فجأة .. "حسام" واقف عند الباب .. نعم هو "حسام" لا إرادياً أظهرت نفسها أمامه غير عابئة بالموجودين من زبائن أو عمال بينما كان بهم بالمغادرة كان تصرفاً جريئاً منها في مجتمع قروى كالذى تعيش فيه .. فالجميع هناك عندهم شغف بلوك سيرة الناس وإشعال نار الفضائح والشائعات ..

توقف الشاب الصامت دائماً عندما أطل عليه ملاكه الذى أضناه وسهد عينيه طوال تلك الليالي الماضية .. وقف أمامها ينهل من روحها التى تتيم بها ... لم يستطع التكلم أو الحركة لم يستطع أن يحول عينيه عنها ..

كان لابد له من الانسحاب من المكان فقد كانت هناك مرآة كبيرة معلقة بالحائط .. وهى لا تظهر صورته .. لأن "زين" فى تلك اللحظة كان مازال يغلب عليه وهو لا صورة له فى عالمنا ... هو كائن تعدد داخل كوننا .. لكنه لا ينتمى إليه مثلنا .. مع أنه تفاعل معه ونبت فى رحم بشرى

عيناه كانتا مغطقتين بعينيها فى قرب كالمهزوم "رجاء" أيضاً استقلت الفرصه كى تراه بوضوح وتسبح فى محياه .. كم هو وسيم .. لم يتغير وجهه الهادئ رزين التقاسيم .. نظرة عينيه الحالمة الحنونة فى قوة كصخر المرمر ..

تنتهت لنفسها .. أفاقت من وقفة التحديق .. قالت تخاطبه لأول مرة : اهلاً وسهلاً .. يا "حسام" .. أرادت أن تقول .. أنا أعرفك حق معرفة ومهتمة بك ..

فى تلك اللحظة كانت المرأة تعكس صورته .. "حسام" الانسان خالصاً ..

تباً للعاشق الأيكم .. لم ينطق الشاب شيئاً .. لكن عيناه قالتا الكثير .. لقد جاء ليراها من بعيد وإذا بها تبادله شوقاً بشوق ولهفةً بلهفة ..



تملص الفتى من حضن إشرافها وإرتد خارجاً .. فقد بدأت عيون الموجودين في التمعن بموقف العاشقين ابنة العمدة الثرى تاجر المحاصيل .. وابن الساحرة الفقير .. كانت أمه "هاجر" تعد أفقر الموردين لهذا المتجر فالمزرعة لا تنتج من النبت إلا القليل ..

شيئته الحبيبة حتى ذاب وسط الناس .. تنهدت لتلطف من نيران قلبها .. فهي تحبه حب حقيقي

عاصفاً كان ذلك اليوم لدرجة أن خيل لأهل القرية أن بيوتهم ستتهدم فوق رؤوسهم بين لحظة وأخرى .. تدرجت من أعلى الجبل جمجمة غريبة .. كانت طويلة كرفات رأس حيوان .. قريبة الشكل من التخيلات التي ترسم للشياطين لكنها كانت آخراً تعد من جماجم البشر ..

دعا "المنياوى" كبير القرية المعلم "حسيو" أمير البنانيين لبناء مقام يليق بتلك الرأس التي قالوا أنها لأحد الأولياء من الشيوخ ذوى القربى لعائلة "المنياوى" العريقة ذائعة الصيت .. أرسلها الجبل بعد أن بالث القبور القديمة هناك ومادت

لتبدأ سلسلة من الخزعات الأسطورية بين الناس حتى تم بناء المقبرة بعد عام بالقرب من سفح الجبل متزامناً مع بناء سرايا "المنياوى" الجديدة ..

لينتقل "المنياوى" مع زوجته وابنته "رجاء" وابنة أخيه "سماح" وخادمتهم الهندية "زاهية" إلى السرايا

في هذه الفترة كان الصراع قائماً مع عائلة "عزام" والتنافس لا يزال على أشده على زعامة القرية والفوز بأصوات الناخبين للمجلس النيابي .. مما كان يعنى مزيداً من الازدهار في أعمال المعلم "حسيو" الذى وجد نفسه في قرية أصابته حمى المظاهر والبناء .. فاستغل الموقف تماماً وبدأت الأرياح تنهال عليه حتى جاء الشهر التالى ليحدث ما غير تاريخ القرية إلى الأبد فقد أقيمت جثة المعلم "حسيو" من الجبل .. وكانت بلا رأس .. وقال القرويين أن الجبل قد أخذها مقابل الجمجمة التي بنى لها المقام ..



ثم أصيبت زوجة "المنياوى" بالمرض .. شعرت بالصداع وضيق التنفس وأنتها بعض نوبات الصرع وكل تلك الأعراض التى وصفها العارفون بالمرض .. وتعنى الكلمة أن صاحبها وقع تحت تأثير السحر الأسود ...

العشرات أحسوا الخوف وتوتر الأعصاب وبدأ اسم الشيطان يتردد على الألسنة واستبدل بكلمة سحر أسود ثم وقع كثير من الأهالى تحت تأثير السحر الأسود وأصبح حقيقة لا جدال فيها حتى جاء ما يؤكدها .. وتكررت الحوادث القديمة التى تأخذ فى طريقها صفوة شباب القرية

"حسام" وأمه اختفيا عن الوجود ولم يعد أحد يجد لهما أثر .. قال بعض القرويين أنهم رأوا الأم تصعد الجبل .. أما "حسام" فلم يعد موجودا .. البيت والمزرعة خاليان ..

لم يمض وقت طويل حتى بدأت فتيات القرية فى الإصابة بذات الأعراض .. استدعوا الطبيب من البلدة لتشخيص هذه الأعراض فأعلن عجزه عن فهم ما يحدث وقرر أن هذه الأعراض نتاج قوى غير طبيعية ...

وأخذ عدد الفتيات فى الارتفاع حتى أصبحن سبع عشرة منهن يعانون ذات الأعراض العجيبة والتى أضيف إليها بعض المؤثرات الدرامية كالصراخ المستمر والإصابة بالشلل المؤقت فى أوقات معينة

ونظرا للإعتقاد بأن هذه الأعراض ما هى إلا نتيجة قوى شيطانية ... تطوعت إحدى السيدات لتعرض على "زاهية" خادمة "المنياوى" أن تخبز كعكة خاصة مصنوعة من دماء حيوان مخلوطا برفات آدمية تأتى بها من المقابر ثم تطعمها لكلب .. نظرا للإعتقاد السائد أن الكلاب تستخدم من قبل السحرة للحصول على الأثر المنشود ولكى يتم المراد ... لابد من تراب يؤخذ من تحت الجمجمة المدفونة فى المقام والتى أتت بها العاصفة يوما من فوق الجبل



وقررت الخادمة الهندية الأصل المخاطرة بتنفيذ هذا الاقتراح فخبزت كعكتها المشبوهة خاصة وأن كانت الخادمة ذات ضلعة في ممارسة السحر .. وبدأت الماساة .. فقد كانت الخادمة تطلق كلبها في الليل ليقتنص الأرواح الشريرة .. كما ادعت السيدة التي أوصت "زاهية" بهذا الفعل

إقتنص الكلب فتيات كثيرات من اللاني يعانون الأعراض العجيبة حال الإنفراد بهن خارج منازلهن حتى أن كثير من الأهالي حبسوا بناتهم داخل المنازل ومنعوهم من الخروج ... قيدا الكلب في مهاجمة البيوت .. فهذه هاجمها بعد أن إقتحم زجاج نافذتها وهذه تسلل من باب الدار مغافلا أهل البيت وإختطفها .. فقد زادت وحشية الكلب وشراسته .. وتعطشه لدماء البشر ..

وهناك فوق الجبل شكّل ذلك المنزل المنعزل لطخة فاحمة السواد أشبه بأعشاش الطيور الضارية معلقاً مثلها فوق الصخر الذي يغطي العمر المرعب الذي لا تغامر الناس بإرتياده .. ممر كدرب المهربين الذي تصنعه آثار الصاعدين لولبيا لتفادي المناطق الوعرة والآيلة للسقوط ..

الريح الهوجاء تصفر هناك صفيراً خاصاً وتنتهك الرمال العارية والصخور المتاكل الذي تكسوه بعض الأعشاب القليلة وتندفع صوب البيت الذي إتخذته "زاهية" مريضاً لكلبها وكان تلك الرياح تحميه بقوة شيطانية .. وقد تجمعت حيات كبيرة في المكان وكأنها نوديت إليه لأداء عمل ما

وكان إتشار تلك الحيات الشاحبة العالقة برووس الصخور السود العديدة التي تخرق الرمال كاشلاء عانمة تهتز فوق سطح الجبل يثير الرعب في النفوس .. ثم بدأت الحيات تزحف على القرية من عل

كان هناك ذلك البيت الكنيب الملتصق بحافة الجرف يفتح نوافذه الثلاث على هذا المدى الوحشي القاحل فيرقب منه كل من بالقرية من بشر .. ينقث منه أوامر للكلب فينتجه لأناس بعينهم ..

ثم يجرو احد على مجرد قول هذا بل فكروا في تقديم الهيات من حيواناتهم على الجبل كقربان



لمدة شهور عوّدت "زاهية" كلبها الشيطاني على هذا النوع من الصراع وعلى هذه الوجبة التي يتم الحصول عليها بالنهش بعدها لم تعد تقيده وإنما ترسله بحركة منها صوب الهدف الذي تشير إليه بلغة متبادلة بينهما ..

لقد علمته كيف يمزق ويژرد في حلقومه مقتلاً من ضحيته فيقدها الحياة سريعاً دون مقاومة ما أن تلمح "زاهية" هدفها حتى ترتجف وتلتفت نحو الكلب وتصبح به : "هيا " بصوت مبحوح له صفير مرعب رافعة أصبعها في اتجاه الهدف ..

نزلت "رجاء" من دارها قاصدة الاختلاء بنفسها ودفين قلبها راغبة في أن تطلق العنان لدمعاتها .. عساها تضمد لوعة حياء وجفاء تصورته في حبيب مغرور ..

وسط الحقول على ضفة القنطرة ... كان لها ما أرادت ... أسبلت جفניה وتهدت ... ثم فتحت عينيها على ما تمنته ... كان وجه "حسام" أمامها وكأنه يقرأ أفكارها .. لم يكن هذا أقل غرابة من تلك النظرة في عينية .. كانت الشغف ذاته .. لم يكن الموقف يحتاج إلى شرح ..

قابلها على تلك الأرض المتواضعة .. نظر إلى وجهها المكسو بغيوم توشك أن تلقى بانقائها على سنين العمر كله .. الماضي والحاضر والمستقبل .. عشقا الضباب والغيمة الذي أحاطتهما فسترهما عن عيون الناس ..

قالت شفاهما كل شيء يمكن أن يقال بغير كلمات ... فقد كانت شفاهما منضماتان لبعضهما كأنهما خلقا هكذا .. كانت قبلة العمر كله .. أفافتها حمرة الخجل فلم تفعل هذا قبلاً ... ولا هو

تحولت اللحظة إلى كم هائل من الأحاسيس الغارقة في بحر هادئ فيض من السعادة الرقراقة



رجع من شروده إليها .. أجابته بمحبة تضاهي محبته لها .. دارت بيدها حوله خنقه .. أنت هنا يا قلبي .. أريد أن أضع حياتي كلها بين يديك

استسلمت لمشاعر جياشة دفقتها له دفعة واحدة ... سكونه أدخلها في أطيايف الأحلام فأسكرها قالت له : من أنت ؟ أعرف اسمك وعائلتك وأين تعيش .. لكنك مختلف .. فما حقيقتك ؟

قال : حنانك سر جمالك وربما ذكائك سر حنانك .. تداخل الكلمات ضلل حصافته .. تذكر أنه في عقلها يتلمس أفكارها ... ويدقق فيها مقتحماً أحلامها .. لم تكن له دراية بما يقول فلم يحسن التعبير .. لكنها أحبت صدقه .. وقدرته الخفية ..

قال : لا تتنازلي عن ذكائك بأسئلة لا أجوبة لها صدقاً أنا لك اتحسس أحلامك ولا تصدقي إلا الواقع الذي تعيشين

لحظتهما قاربت على نهايتها .. قالت : أحبك .. لا أعرف كيف .. لا أعرف لماذا ..

احتضن كلماتها .. تداخلت أفكاره وأفكارها .. يا لروعة هذه اللغة .. الصمت وحروف الكلمات وصوت كروان قادم من بعيد .. هي إذن اللحظة التي غرقت فيها ... كم عشقت هذا الغرق ..

أحلام بقطة كانت كنسمة تنتقل بين ورود زاهية متقابلة .. رغم ثقل الأحداث ..

تركها تسبح في أحلام دنيا بدت رحبة رغم ضيقها .. حافظ على سكون حركته .. أحب تداخل روحه مع روحها .. ما أعذبه من شعور إنسائه انكماشه داخلها وإنسائها إندفاعها في قضائه .. تركها ويده تأبى إفلات يدها من حضن يده .. يجب أن يمضي الآن مفارقاً ..

انقلبت الأيدي بينما أبت القلوب .. مازالت متضمة رغم ابتعاد الأجساد .. وستبقى هكذا ..



مكث طويلاً في عقلها .. تسللت يداها إلى رأسها .. أمسكته .. ضغطت عليه ألمها فراقه
هكذا .. كتبت صرختها داخلها حتى لا تقتلعها من جنة رسمتها في خيالها .. أحست به يبتعد
فأزاحت يديها عن رأسها ... ابتسمت بسملة وداع ... وابتسم

لم يتواعدة .. لم يحددا موعداً للقاء قادم ..

إنصرف وطالت غيبته .. عاد إلى إختفائه الغير مبرر .. لكن ألسنة القرويين سعت كالأفاعي
تنقل قصة العاشقين .. وتزيد عليها تفاصيل .. حتى وصلت تلك الحمم لأذان أبيها وعائلتها

لم تنكر "رجاء" حرفاً مما قيل .. حتى الذي لم يحدث منها .. بل أحبت أن يقال عنها ... فقد
كان في قلبها حب أعظم وأجل ..

يريدون وطأ الوردة التي تفتحت لتوها .. مازال يقطر منها الندى .. لكن هيهات .. ستدافع عن
حبها للنهائية ..

كانت "رجاء" تظن أنه بمجرد عودة "حسام" ستتحول دنياها إلى أجمل وكأنها قد بدأت الآن
للتو فلقد كانت الأيام الثلاثة التالية هي أسوأ أيام حياتها على الإطلاق فلم تعد ترى "حسام"
في القرية ولا تعرف له مكان للدرجة التي أرعبتها أن يكون قد رحل وأمه من القرية كما
رحلت قديماً فجأة ..

وانشغلت هي في أعمال الإشراف على أملاكهم التي وكلها أباها إليها بشكل مستمر .. وكانت
لا تستطيع أن ترفض إمعاناً منها في إسترضاء والدها الذي تغيرت معاملته لها كثيراً .. فقد
وصله من أمرها ما أوجسه ..

انتشر أمر الحبيبان بسرعة رهيبة حتى وصل لمسامع أهل القرية خاصة الأسر النبيلة فيها
وكل معارفهم



كانت سيرتهما فعلا حديث القرية .. وما أزد الأمر سوءا هو التجاهل الذي يعاملها به "حسام" وكأنها ما تزال بعيدة عنه .. ولم تكن عائلتها أفضل حالا فلقد كانت تصر على إذلالها وأهانتها بالكلام ذو المعنى المزدوج ...

أصبحت "رجاء" مكتئبة وحائرة على حياتها لأقصى حد فقررت ان تخرج كل ما تشعر به في وجه "حسام"

ولم يفهم ذلك بل قام أياها بتصرف أكثر إذلالا مما سبق قامر صبيانه بالأا يبتاعوا محاصيل مزرعة "هاجر" وأن يعاملوها معاملة سيئة كما أصر على تولية ابنته "رجاء" أعمال أقل إحتراما وكانت تلك كارثة أثارته بشدة وحاولت جاهدة إثناء والدها أن لا يجعلها سخرية أهل القرية .. فكان رده :

"ولما ؟! .. هذا عملك .. إذا كنت خجلة .. فهذا خطاك وحدك .. لم يجبرك أحد على أن تناسى إلى ابن الساحرة .."

كانت تلك الكلمات كافية لإغلاق فمها ورويدا لم تعد تتحمل إهانتهم برابطة جاش مثل السابق شيئا فشيئا بدأت تكتئب وتشعر بالمهانة والذل والوحدة أينما ذهبت فلقد كانت غيبة "حسام" عنها طويلة .. ولأن تفيد عودته كثيرا لكنها ستخفف من آلامها

الجميع يتجنبها في إزدراء و يهينونها والبعض يكتفون بتوجيه كلام لاذع ذا مغزى ومما أثارها حقا أنه إذا أتى أحد أفراد العائلة لزيارتهم في منزلهم فإنه يعاملها بإزدراء قاسى وكأنها حثالة لا تستحق النظر وكانت تكتفى بالذهاب إلى غرفتها والبكاء ذلا ومهانة

المها مرض أمها الذى بدأ يظهر واضحا ويزداد ولا أحد يعلم السبب .. كما حزنّت لأن والدها يكره "حسام" ويحتقره مما يزيد من حزنّها أضعافا فتشعر أن جميع الأبواب أوصدت في وجهها

تظاهرت بأن شيئا لم يكن وأخفت حزنّها وقلقها تستدير لتخفى دموعها تمسكها وترسلها بعيدا



وكلما سبحت الفرصة وإنشغل الجميع .. استغلت أن لن يشعر أحد بغيابها .. مشيت في الحقول
تفكر في حبيبها وفي كلماته لها ومواقفه وفي إشتياقها له

ووجدت نفسها أمام كرسي خشبي بين الأشجار فجلست عليه تفكر وتستحضر في ذكرياتها ..
حتى ظهر كأن وسط الظلام ظل يحرق بها دون حراك بعيون تشرق في الظلام .. لم تتبينه جلياً
حتى لمحت حركته وما أن تأكد أنها رآته حتى اقترب منها حثيثاً ..

إنه كلب "زاهية" المتوحش الذي لا يترك من ضحيته شيئاً احتوت خديها بيديها رعباً ولم
تستطع الصراخ ... اقترب الوحش أكثر وكشر عن أنيابه .. لن ترى رعباً في حياتها كهذا ..

تغيرت سحنته كثيراً فلم يعد كالكلاب .. بل هو أشبه بالذئب بل أشد شراسة .. عيناه تقدحان
شرراً ... تفاصيل جسده دلت على امتلاكه قوة هائلة ..

سيقضم رقبتها حالاً .. هو يبدأ عمله من الحلقوم اقترب أكثر حتى كاد يلامس وجهها ..

إنفجرت أسارير وجهه فجأة وماء كالقط الضعيف .. لم يكن ينظر إليها .. لكنه كان ينظر من
يخلفها .. كان الكلب ينظر ذلك الشخص الذي يقف خلفها من بعيد ... كان ينظر "زين" الذي
يعرفونه باسم "حسام"

استدار الكلب المتوحش وانصرف من المشهد متلفتاً خلفه خائفاً ضامماً ذيله إلى ما بين ساقيه
الخليقتين خذلاً وخزياً ..

جرت "رجاء" هلعة باكية ولكن "حسام" استوقفها قائلاً : "لم أفعل شيئاً لاثير حنكك هكذا "



فوجئت به قالقت بنفسها في أحضانها وغمرته بدموع غزيرة وكلمات خرجت منقطعة .. أحبك .. أتيت الآن حبيبى .. كدت تفقدنى .. الوحش كان ليلتهمنى .. أبى يكرهك .. العائلة تحتقرنى .. يستصغرونك فى عيونهم .. يظنون أنهم أعلى من الناس بثروتهم .. خذنى .. أنقذنى ...

أنا ملكك اليوم وأبداً ولن أكون لغيرك .. لن أتركك بعد اليوم

قال : عليك أن تثقى بى .. لا تهمنى أسرتك ولا أباك ولا أمواله .. ولا القرية كلها .. لكن تريشى فقد أكون لا ألامك .. لن تصدقنى هذا أعلم ما لا تعلمين ..

لأنك مثل الآخرين ... يظنون أن من لا تجرى فى عروقه دماء الثراء لابد أن يكون حثالة إنتهازى لا قيمة له .. ولكن عليك أن تعلمى أننا مخلوقات نملك مشاعر أيضا وأن النبل مكانه القلب .."

أوصلها إلى منزلها وهى فى كتف ساعده .. لم يهتما أن يراها راع هكذا عاشقين .. الجميع شاهدهما هكذا .. لم يعد سرا ...

الوجوم ساد كل الوجوه .. سارت .. دلقت للبيت .. لحجرتها .. إرتمت إلى سريرها ..

لم تستطع النوم تلك الليلة وهى تتذكر الأحداث وما قاله لها "حسام" وتستحضره فى ذهنها كلمة كلمة ثم تعيد إستحضاره من جديد دون توقف وكأنها تعيد سماع لحناً محبباً وظلت صورته بحضوره الرائع تظهر أمامها فى ظلام الغرفة ...

تشعر بسعادة ولهفة وهى تتذكر وتشعر بارتياح جارف له .. لكن كلماته كانت تحمل معان أكبر من كونها كلمات لها معنى محدود .. أعادتها فى ذاكرتها مراراً ولم تفهمها جملة وتحصيلاً ..



يا له من شاب متفرد غريب كلماته تنبض احساساً وعذوبة رغم ما يستخدمه من الفاظ غريبة تذكرت تلك الكلمات العنيفة التي قالها زميلها الجامعي ... لاسيما تلك العبارة .. "أنا مخلوقات نملك مشاعر أيضا .. وأن النبل مكانه القلب " .. تعبير صادق جميل .. لكنه لا يناسب مستواه الثقافي

لم يترك لها الفرصة لتتدارك الأمر أكثر .. ومضى يستطرد قائلاً :
"عزيزتى ... أنا معك .. فى قلبك .. حتى لو لم أكن معك بالفعل .. أنا داخلك .. فلا تقلقى على حبيبى وهو الذى يجب أن ترعيه .. لا بد وأن يأتى يوم تعرفين ..
حسناً ؟! والآن هيا إتسمى كفى عن البكاء إتسامك ينير حياتى الميته "

ضحكت وسط بكاءها وضحك هو الآخر بصعوبة لكنه لم يكن موجوداً معها فى حجرتها .. من إذاً كان يكلمها ؟؟ !! وماذا قصد بذلك التعبير "حياته الميته"

كاد رأسها ينقطر كاد يقتصصها مس جنون .. لكن وطأة الأحداث كانت قد أرهقتها فغمرها النوم ..

امتلات أحلامها بالكوابيس هذه الليلة عكس ما كان متوقِعاً .. نظراً لحالتها النفسية ومعنوياتها المرتفعة لروية فارسها المغوار و نجاتها من براثن الكلب المتوحش .. رأت فى أحلامها أياها العمدة ذنباً مسعوراً ووحشاً مفترساً عولت هذا للرعب الذى تعرضت له البارحة فلا بد أن الأحداث أثرت على عقلها الباطن ..

فجر يوم الجمعة جرى نهر من الدماء فى بيت الجيل الأسود .. إنطلقت الرصاصات خلال ريع ساعة من بندقية أميرية أمسك بها الخفير الخاص للعمدة "المنياوى" و صوبه تجاه الساحرة "زاهية" وكنبها المتوحش .. وبين زهول الحاضرين .. أمسك العمدة بمسدسه و صوب الفوهة إلى قمه فأطلق على نفسه رصاصة واحدة و انتحر.



وبعد شهر من الواقعة الدامية عادت الغرائب لتطفو على سطح الأحداث من جديد ..

فهناك أصوات غريبة تنبعث من حجرة العمدة المنتحرة .. كما أنهم لاحظوا أن شباك الغرفة يفتح كل يوم في الليل بالإضافة لمشاهدتهم أحجاراً صغيرة تتطاير منه كل ليلة رغم أن الغرفة تركت مهجورة لم يشغلها أحد منذ حادث الإنتحار بالجبل ما من شك أن الغرفة أصبحت مسكونة بشيء ما

على الرغم من أن تلك الغرفة لم تشهد القتل وقد دفنت الجثث بعيداً .. جثة العمدة القاتل فقط دفنوها الى جوار الرأس المدفونة في المقام القريب من الجبل .. والذين يدعون أنه من الأولياء ذوي القربى ..

و كثرت الجرائم المماثلة بالقرية .. إنتحار وشجار على أقل الأمور أهمية .. لكن النتيجة دائماً جثث لشباب يافع ذوي بنية صحيحة ..

إنتاب أهل القرية إحساس غريب و شعروا بالخوف .. لم يكن يعلم سببه منهم إلا كبار السن فقد عاصروا عهداً لا يتكلمون عنه كثيراً ..

حكايات غريبة تحدث كل ليلة داخل و أمام سرايا العمدة السابق .. الذي إنتحار لسبب غير معلوم

أضواء تلمع في الليالي المظلمة وسط الحقول .. عيون تبرق وتحتفي حول بيت العمدة القاتل

إحدى الحكايات التي تلوها الأسنة كانت تقول إنه كلما أعلنت الساعة عن تمام الخامسة فجراً يتوقف أمام السرايا ذئب كبير الحجم .. ويشخص ببصره إلى نافذة غرفة العمدة القاتل ..

يقولون أيضاً أن كلاب القرية تعوى شائخة للغرفة عندما تمر من هناك ..



حكاية أخرى أشد غرابة كانت تؤكد سماع أصوات شجار تصدر من داخل الغرفة عند منتصف كل ليلة و بعدها تنطلق صرخات أشبه بصرخات "انقطط" في العراك لمدة دقائق .. هذه الأصوات يسمعها خفراء الدرك الذين يتولون وردية الليل من اثامنة مساء و حتى الثامنة صباحا

الاعجب أن آثاراً للدماء كانت تلتطخ جدران المنزل من الخارج و كأن أحداً ذا يد ملوثة قد إعتلى الجدار ليصل إلى النافذة الخاصة بغرفة العمدة المنتحر ..

عندما أطلق "المنيلاوى" الرصاص على نفسه حملوا جثته وأرقدوها على السرير فى غرفته جثة هامدة و الدماء تغطي كل رأسه .. الآن السرير ليس عليه جثة "المنيلاوى" و لكن رائحة الدماء والموت ما زالت تملأ أرجاء المكان .

أدى ذلك الحادث لإنتقال الزعامة القروية لعائلة "عزام" المنافس القوي للعمدة السابق .. وجاء هذا الرجل تحت مسمى تقديم واجب العزاء لكنه فى الحقيقة كان هدفه الإطمئنان والتعرف على ملايسات الحادث الغريب ..

أمر "عزام" أن تبقى وردية خفراء درك الحراسة أمام المنزل كما كانت .. لم تكن تلك مجاملة ولباقة ... بل كان خوفاً مما يسمع أنه يحدث فى البسرايا بعد الحادث .. وما يحدث بالغرفة من أشياء غريبة .. وذاك الشباك الذى ينفتح فجأة يوماً بعد يوم بلا سبب .. شباك غرفة نوم القتيل المهجورة من سكان المنزل

وبالفعل إنطلق الخفراء يجوبون أرجاء المنزل ويتفحصون المكان والأثاث ويقع الدم على الجدران من الخارج و كانت المفاجأة أن إكتشفوا آثاراً خفيفة تجاه غرفة الإبنة "رجاء" ما الذى يربط الفتاة بتلك الأحداث السابقة .. هذا السؤال لم يعثروا له على إجابة اللهم إلا صلتها بتلك العائلة المشبوهة .. الساحرة "هاجر" وابنها "حسام" .. خاصة مع إختفائهم المريب من القرية



قام الحرس بمعاينة الشباك جيدا و لم يكن به أى آثار لفتح من الخارج بمعنى آخر أن الشباك يفتح من الداخل أو أنه يفتح بقوة غير منظورة لا تترك أثر أو تفتح عنوة

حارس من الحارسين المكلفين بحراسة الاسرايا فى وردية الليل قل: ذات ليلة .. سمعت بأذناى أصوات "عراك قطط" تنطلق من الغرفة نظرت لزميلى الذى يشاركنى الوردية فى رعب و بسرعة تحولت نظراتنا إلى الحقل القريب لاكتشف أن ذنبا أسود جائس يرقبنا فى هدوء مخيف

تساءلنا و لم نعثر على إجابة لشيء .. أخذنا وضع الإستعداد بالبنادق .. لكننا لم نجرب على الإطلاق .. وفى لمحة إختفى ذلك الذئب فجأة ..

و يستطرد الحارس قائلا : لم تمض ثوان حتى سمعت أنا و زميلى أصوات غريبة لم ننجح فى تفسيرها و لم نعرف سوى أن مصدرها داخل المنزل .. دب الرعب فى قلوبنا .. و زاد خوفنا عندما سمعنا صوت إرتطام شئ ثقيل يأتينا من جهة الباب .. غادرنا مهرولين من الفزع

جريت مع زميلى بعيداً .. و لكن قبل أن نبتعد إستدثرت ناظراً لاكتشف أن شباك غرفة "المنياوى" مفتوح و أحجارا صغيرة تتطاير منه

بعد هذه الواقعة الغريبة أبلغنا العمدة الجديد الحاج "عزام" بضرورة الابتعاد عن الاسرايا لأنها أصبحت مسكونة ..

بعد شكوى الغفر من سماعهم ورويتهم لتلك الأشياء الغريبة التى تحدث بالاسرايا بعد منتصف الليل و عند الفجر ... كان رد العمدة "عزام" على شكواهم بأن تلك الأصوات الغريبة التى يسمعونها ربما تكون صادرة من مكان آخر أو ربما هم يتوهمون ... قال ذلك حتى يهدئ من روعهم ..



و لكن الحقيقة المؤكدة التي لا تقبل شك و التي رأها كثيرون يعيشونهم .. تؤكد أن هناك أشياء غريبة تحدث داخل السرايا .. العجيب أن سكان السرايا لم يكونوا يرون شيء من هذا كله ..

"رجاء" كانت مستكيئة لتوضع أكثر مما ينبغي ربما كان ياسا من الحياة ... وربما إكتاباً سببته ظروف الحياة التي مرت بها مؤخراً .. لكن الخوف لم يصل بعد إلى أساريها .. فآلمهم أحياناً يقوى العزم ..

لم تلق بالاً لصفائر أشياء تحدث لم تجزع من فآزة وقعت لحالها دون أن تمسسها يد من مكانها إلى الأرض فإنكسرت لم تلق بالاً لزعحف الكوب من فوق المنضدة ... ولا لإهتزاز الثوب فوق الشماعة في الغرفة ذات الباب والشباك المغلقين .. ولا لتلك الأصوات الليلية التي تأتيها من بعيد .. ولا لتوقع أقدام تسير في صالة المنزل ..

ذلك الشعور بالخوف الذي سيطر على الإنسان منذ أقدم .. الخوف من المجهول .. من الظلمة من حكايات الأقدمين .. أساطير كثيرة جسدت روايات عن الرعب ودراكولا والمستنبيين والأرواح الشرارة والمتحولين والقطط السوداء و عفاريت الجن .. حكايات عديدة وروايات مختلفة ..

جسد الرايون ذلك بأشكال مختلفة .. يصفها سامعيها بالخرافات .. بينما يظل الخوف موجوداً كقوى شعور يربك الإنسان إذا كنت وحيداً في المنزل أو الطريق .. في الشتاء وفي الرياح .. في العتمة أو على ضوء شموع تراقص كالأشباح ..

أسلمت عينيها للنعاس .. هزها برفق .. قال لماذا تهربين يا حياتي .. إياك أن تخافى شيئاً .. أنا ملائكة الحارس .. قالت : أين أهرب من أيام أهكتني وأحالت إيامي لكابوس يخنق حياتي ويغرر أظافره الحادة في عنقي ... حبيبي أنت ملاذي ومنقذي .. قال وأنت ملاكي ومعشوقتي

لم تعى كيف تقهقرت إرادتها وانزوى عفافها منسياً خلف جدران قلبها المشبع بالحب



قالت كلمتها وطوقته بذراعيها ... ضمته إليها بما استطاعت من قوة ... غرست نهدبها فى صدره .. أذابت شفتيها فى فمه .. الأمت جسده داخلها ..

مجنونة تلك الأنثى الملتاعة .. لفظتها ثعالة الحب إلى جب الهاوية ... دوت أهاتها تتردد من أعماقها .. لهفاً للقاء .. أحست بفيض الأمان وبث الصدى فى شقوق كيائها الإنسانى وظلمة الواقع التى غيمت عليها لم يكن لديه إلا أن يضمها .. أحاطها بساعدين لا فكاك منهما .. أصبحا جسداً واحداً .. ذا روحين متالفين ..

اعتلت القمة سريعاً وأن لها النزول .. تملصت بختان .. وبصعوبة شديدة سمح لها بمغادرته قالت : أحبك يا "حسام" وقال : بل "زين" ..

دس فى يدها شيئاً شكها إيلاماً .. وقال : هذا جزء منى .. لا تفرطى فيه ..

فتحت عينيها هويناً .. تمططت وتنهدت .. ما أروعه من حلم .. فاق أحلام الصبايا

قلبيها يطير سعادة .. أما جسدها .. فكان بركناً ينقث حمماً .. ألم حلو كان يراودها فى كل مكان مسه منها فى الحلم .. ولكن لماذا قال "حسام" أنه "زين" ؟!

أمعنت التفكير تحاول التذكر .. فتحت يدها التى أعطاها فيها شيئاً لم تعرفه .. كانت خاوية .. ضحكت وقالت فى نفسها : ... أضغاث أحلام

تذكرت .. كان شيئاً معقوفاً ذا نهاية حادة .. لكنها لم تتبينه جيداً .. كل شيء حولها أسمى من الخيال .. لقد حلمت بجنة عدن .. بل لقد راتها وعاشتها .. ولأول مرة تشعر بهذا الإنشاء ورغبة أكيدة فى الاستمتاع بالحياة وبحاجتها إلى هذا المذاق الحسى ..



ظلماً قاتل ألهب حنجرتها .. خرجت من حجرتها تلتمس كوب من الماء .. نظرت الثواقف .. ما بال ضوء الصباح لم يأت بعد .. نظرت المنبه على الطاولة مازالت العقارب تشير إلى ما بعد منتصف الليل .. ما هذا بجانب المنبه ..

هناك على الطاولة .. كان شيئاً تحققت منه .. إنه مغلب .. احتوته يدها الناعمة .. أطبقت عليه كفها آه لقد تذكرت .. هذا هو ما أعطاه إياه "حسام" في حلمها الجميل ... كيف وصل هذا الشيء إلى هنا .. بل كيف جاء من الحلم .. إلى عالم الحقيقة

كان هذا في الأول من مارس .. و لا يوجد تفسير لما حدث بالضبط في هذا اليوم من أيام الحب .. الربيع قادم بنقاءه وجوه الجميل وطيب مزروعاته .. وتزاوج الحيوان .. لكن هذا لم يحدث فقد خيم على القرية موت ثقيل .. ناهيك عن تلك الحوادث التي تصيب الفتيان من الأهالي ..

القرية تبدو وكأنها تريد كسر رتابة الحياة حتى لو على حساب أي واحد منها .. فتطوع البعض بالإشارة إلى أن المتهم في الحوادث الجمة التي حدثت هي الساحرة "هاجر" وابنها "حسام" وأن مجرد ظهورهم في الحقول هو سبب اختفاء المحصولات وموت المزروعات والحيوانات

"هاجر" هذه ابنة "فتحي" الذي كان ملماً بأصول السحر الأسود وهي التي صدرت سحرها للتكنيل بمن أرادوا طردها من القرية سابقاً .. هي تظهر في صورة "زاهية" صاحبة الكلب المتوحش وهي من أسسكت بيد العمدة المنيأوي وجعلته يضرب رأسه برصاص مسدسه ...

وكانت الأحداث الجارية كقيلة لجعل مثل هذه القصص قابلة للتصديق ..

لكن "هاجر" لم تنتهم وحدها بل انضم إليها كل من ابنها "حسام" وحبيبته "رجاء" وكل من يتعامل معها حتى ولو مرة كالشحاذاة المزعة التي قبلت منها حسنة في السوق مرة والعجوز التي اشتهرت بكثرة مشاكلها مع الجيران وذهبت إليها راجية أن تعمل لها عملاً للإضرار بهم



تلك البلدة المتطرفة فكراً ومكاناً لم تكن تخضع لسلطان الدولة التي هي في النهاية جزء منها
ويسيطر عليها قاتون عام .. كانت لها أعرافها الخاصة .. فهي بعيدة كل البعد عن عين الحكومة

كما أن الوضع الباراسيكولوجي القاطن فيها والذي يمتلك قوى خاصة تؤثر بقدر كبير على العقول
كان له الأثر الجذري في عدم زيوع ما يجرى من أحداث خارج نطاق تلك البلدة الصغيرة

الإحساس الجهلي العام أيضاً كان له دوره .. فقد اعتدنا عدم التصديق .. وإتهام أى راو لحدث
غيبى لا يقبله الإطار العام لحياتنا بالشذوذ ..

لذا إنغلق المجتمع الصغير على نفسه وكان عليه أن يحل مشكلاته بطريقته مستخدماً ما لدى
كبرائه من ذكاء أو لنقل من غباء .. على الرغم من وجود الكثيرين فيه متعلمون ...

هذا الأمر وارد بشكل كبير في تجوع الصعيد والأطراف الممتدة على الحدود ... شرقاً وغرباً
وخاصة في الجنوب .. حيث يسنون لأنفسهم قوانينهم الخاصة .. في سنون النار و عقاب
الخارجة عن العقاب والدية المدفوعة للقتلى والنزاعات الطائفية وتداول المخدرات وغير ذلك
لأن حكم القانون العام لن يرضيهم ناهيك عن طول أجله الذى لن يشفى الجراح ..

لذا كانت المحاكمات العرقية التى يقوم بها من يزعمون أنهم كبراء المكان .. ولذا أقام العمدة
عزام محاكماته التى لا يستطيعون إستادها لأدوات الدولة من شرطة وقضاء الذين لن يعترفوا
أبداً بأن قلاتا يمارس السحر .. أو أن قلاتا ليس من البشر أو أن حيوان شيطاني قد ظهر عندهم

كما أن للبشر رغبة دفيئة يوزيها من يتسترون ويستفيدون من لباس التدين الزائف في خوض
الأحداث الشاذة والتحمس لها .. لهذا كان على من يعتبرون أنفسهم الصفوة أن يقيموا المحاكم
والتحقيقات داخل القرية اعتماداً على أن لن تخرج أخبار ما يفعلون خارج حدود مكائهم المحدود
بحققون ويحكمون ويعاقبون ويقتلون .. عرفياً .. والكل طائعون ..



أسندوا كل الظواهر لفعل هولاء السحرة .. فما يحدث ليس من المنطق فى شيء ... وأضافوا
للسحرة كل من يكرهون من أهل القرية

ازداد الأمر تعقيداً وغموضاً ورهبة .. فبدأ النسوة فى القرية يدلين بأنهن يرين الساحرات طيلة
الوقت حتى فى منازلهن وبدأت تظهر حالات الإغماء والدعر عند إدلائهن بهذه الشهادة .. ومع
هذا الأداء الرهيب اتسعت دائرة المكذبين والمصدقين

النسوة فى القرية كن يسقطن ويصرخن بمجرد أن تلمسهن واحدة من المتهمات بممارسة السحر
الأسود .. وياقتراح من العمدة تم اعتماد أن مجرد الاعتراف بالسحر دليل كاف لتطبيق حكم
الإعدام .. وكانت أول ساحرة تقدم لهذه المحاكمة سيدة تجاوزت السبعين من عمرها وكانت
كثيرة المشاكل والأهم أنها كانت فقيرة الى حد السرقات الصغيرة .. فلم ينج منها دكان الخباز
والبقال والمطعم والجائلين من باعة الخضار ..

ياختصار كانت نموذجاً يصلح لتجربة المحاكمة العرفية عليه خاصة وليس لها عزوة تحميها
وأن الكثيرين أيدوا وأكدوا أن السيدة ساحرة نشطة وأنها كانت تذهب للجبل لتحضراجماعات
الشيطان

لم تستمر المحاكمة أكثر من أيام أطلق بعدها العمدة "عزام" حكم الإعدام عليها ونفذ الحكم
فى اليوم التالى بساحة القرية الرئيسية

بعدها وبتشجيع الأهالى لما حدث .. توالى الاتهامات وقرارات الإعدام وقيدت النساء الى عامود
انشأوه بالجبل تزفهن الشائعات ونظرات التشفى والغل وأحياناً الدموع

وتحول الأمر الى جنون حقيقى فأصبح كل من يعارض هذه المحاكمات متهما بدوره كما حدث
قديماً فى القرون الوسطى .. وكان التاريخ مازال مغرماً باستنساخ نفسه مجدداً ..



ازداد جنون أهل القرية .. فانتشر الذعر بين المتهمات كل يحيل الاتهام لكل وساد الظن بأن من يتهم غيره فهو بريء من تهمة العمل بالسحر هرباً من التنكيل الذي وصل إلى الرجم بالحجارة أو الصلب على عامود بالجبل أو غير ذلك من وسائل القتل بعد التعذيب

فرصة يقتنصها لنام البشر لتصفية الحسايات وإثبات الذات على حساب الآخرين .. وممارسة غريزة سفك الدماء والانتقام المتغلغلة في نفوس بني آدم .. وامتلاً جو القرية بالكرة والبغضاء وإنفجرت حمى القسوة والتشفي بشكل فاق الحدود

فكانت الشحاذة المختلة عقلياً هي أول متهمة تعترف بممارسة السحر على أمل النجاة من موت محقق لكن دخول "عزام" إلى مسار الأحداث قلب الموازين فقرر وضع حد لما أسماه المهزلة القائمة مهما كان الثمن .. وهكذا قتلت الشحاذة ظلماً دون محاكمة ..

وكان يطلق على تلك المحاكمات العرفية .. محكمة الصمت .. هدفها تدمير كل السحرة والتماس البركة من مقام رأس جد "المنياوى" المدفونة في المقام المزعوم فالغوغاء دائماً ما يتمرغون في التماس الحماية من أى شيء مجهول .. وكان "عزام" أكثر المتحمسين لعملية صيد السحرة فهو العمدة والزعيم ..

واستبد الخوف بالعجوز التي اشتهرت بكثرة مشاكلها مع الجيران وذهبت إلى "هاجر" يوماً راجية أن تعمل لها عملاً للإضرار بجيرانها فقد كانت المتهمة التالية ..

قبض الأهالي عليها وجروها في عنق إلى دوار العمدة القدير "عزام"

العجوز ترى الموت قادماً لا محالة وفكرت أيضاً أن الاعتراف بنيتها في الإضرار بجيرانها قد يعفيها من التحول إلى كبش فداء



ثم قررت الاعتراف أيضاً بأنها ساحرة ذات قوة تضاهي وتفوق قوة الساحرة "هاجر" حتى يخافونها .. وإدعت أنها قابلت رجلاً طويلاً في الجبل تعتقد أنه الشيطان وأنه جعلها توقع في كتابه على السمع والطاعة ليوفر لها الحماية .. وأن الويل لهم لو مسوها بسوء

هذه التصرفات كان من شأنها أن تؤكد للقرويين أنهم على الطريق الصحيح .. فهاهن يعترفن

وتتفاقم الوضع فالكثير مدانون في القرية بممارسة السحر الأسود .. وأصبحت القرية كمحاكم تفتيش العصور الوسطى .. تلذذ الناس بممارسة القتل في بشاعة

ليس هذا فحسب فقد أكدت خادمة أن سيدتها كانت تحضر اجتماعات السحرة مع "هاجر" في مكان سري بالجبال المجاورة .. وكان هذا إنتقاماً من سيدتها ...

وبالطبع لم ترق هذه المسألة للبعض فالصفوة والأسياد دائماً ما يعاملون غير الفقراء ... كلنا يعرف هذا ويرضخ كالغبي المغيب .. حتى المتمسحين بالدين كالخرفان فعلوا هذا .. وأصبحنا في نظرهم بمجرد إمتطائهم للحكم .. مجرد بغال ..

وكانت النتيجة أن ثار هجوماً ضارياً بين عائلتين إنتهى باتهام كل منهما للآخر بممارسة السحر وتشجيع أعمال السحرة

تحول الأمر إلى مهزلة حقيقية لا يمكن تخيل مدى قدامتها .. حتى أنهم اتهموا بالجمنة طفلة لأنها ابنة إحدى المتهمات وكانت لم تبلغ العاشرة من العمر.... اتهموها أيضاً بكونها ساحرة وظلت في الدوار المغلق المدجج بالحرس الذي أسموه سجن القرية والمكتظ بالمتهمين لعدة أشهر .. إنتهت بأن حضرت الطفلة إعدام أمها رجماً بالحجارة ... وقلبها يتمزق من الصراخ

الأغرب أنهم لم يكونوا في حاجة إلى كل هذا .. بل كان بمثابة تمهيد وإحماء بغية قتل "هاجر" ريثما تظهر فهي في نظرهم أساس اللعنة ..



عرضت تلك القضية المحلية على العمدة "عزام" الذي طالما كره الحاج فتحي والد "هاجر" وتوافد من أهل القرية .. كل إمعة يفتى بما يجعل لنفسه قيمة وليشهدوا هذه المحكمة الهزلية

قال قائل .. لن نستطيع مجابهة هؤلاء السحرة وجهاً لوجه .. تذكروا ما فعلته بنا مسبقاً .. وما الحل إذا ... قال ثانٍ وقد بدا وكأن ذهنه قد تفتق عن حل عبقري : "الغيلة" .. طلقة طائشة مفاجئة من مكان خبيء .. فقد ثبتت فاعليتها وماتت "زاهية" وكنيتها هكذا ..

وكانوا صائبين بالصدفة لأن "هاجر" وإن كانت هناك قوى تساندها لكنها في النهاية إنسانة عادية

وهكذا انتظروا ظهور "هاجر" بفارغ الصبر .. وجهز عزام بندقيته فعمرها ووضعها إلى جانب باب داره .. حتى أخبروه بظهور "هاجر" في أرجاء القرية .. واجتمع الناس يشهدون بظلم المغوار ..

أطلق الرجل عياره من وراء الجدار مباشرة إلى هدفه فأصابه في مقتل .. خرت المسكينة صريعة في الحال .. ماتت مثلما ماتت قبلها "زاهية" فقد كانت إنسية أيضاً ..

همل الهمج فرحين مهتلين وانقضوا على الجثمان يريدون تمزيقه .. علمت "رجاء" فهرعت فرعة .. فرح الهمج بوجود متهمة أخرى على مسرح الحدث .. وأعاد "عزام" حشو بندقيته الخرطوش سريعاً .. ألقى الأهالي برعاء على الأرض وفي اللحظة التي هموا يوطأها بأقدامهم برز من الأرض بجوارها الكلب المتوحش الذي كان قد قتل مسبقاً .. برز كما تبرز الحشرات لو دفنتها في الرمال ..

قامت "رجاء" من رقبتها واستدارت للجمع .. لكن من قام لم يكن "رجاء" كان شيئاً يتمثل صورتها .. عندها أطلق الكلب صيحته منتظراً أمرها .. صوت همس له من العدم ... "هيا .. التهم الأعناق !" .. وحالا انطلق الحيوان كالقذيفة ناهشاً حلقوم "عزام" ..



جثم الكلب على صدره وفي ثوانٍ استخرج حلقومه في فمه ثم استدار فتهدش أقرب المهاجمين وتدحرج به على الأرض .. ثم تصوّر ضارباً الأرض برجليه قافذاً قفزة رهيبة قاتى بأقرب فرد من القارين .. وفي النهاية خمد راجعاً إلى حيث بدأ .. فحفر الأرض وغاص تحت الثرى ..

كانت جموع الغوغاء تهرع من المكان رعباً يصرخون ويدوسون بعضهم بعضاً .. وما زالت "رجاء" جالسة عند جثمان أم حبيبها تبكي امرأة لم تعرفها .. تفرغ عليها حزناً بدلاً من ابنها الغائب

وما أن حل المساء حتى كانت جثة "هاجر" في بيتها .. راقدة في سريرها مشرقة الوجه فتية أسارير وجهها كانت تشي بأنها قد إرتاحت بعد عناء .. أراحته هما ثقيلًا .. وطأتها سنين كثيرة

كانها قد نامت ملء جفتيها بعد مجهود شاق أثقل كاهلها لم يعرف أحد من الأهالي كيف نقلت القتيلة إلى بيتها ؟ .. ولا كيف وأين دفنت بعد ذلك ؟ .. وبعد أيام كانوا يقولون أن بعضهم رآها تطير في الهواء في الليالي المظلمة لتتضم إلى الشيطان في وكره بالجبل ..

كانت "هاجر" تنتظر عودته كي تودعه الوداع الذي ليس من بعده لقاء .. فقد آن له أن يدخل طوراً آخر .. هي تعلم هذا .. ولكن الموت لم يمهلها ما كانت تصبو إليه .. وقبض روحها من على الأرض ..

ولنعد إلى أهل القرية فقد قال عاقل من القرويين أن النساء يعترفن بممارستهن بالسحر هرباً من الحكم بالموت فوجد نفسه متهماً هو وزوجته بممارسة السحر وقيد إلى المحاكمة .. صرخ رافضاً إتهامه وشكك في نوايا العمدة لكن الأمر انتهى به إلى الصليب بالعامود المقام في الجبل حتى الموت .. هكذا سارت الأحداث من سبى إلى أسوأ ..



استمر الهزل حتى بلغ عدد الضحايا ثلاثين ضحية شنقوا أو صلبوا أو رجموا أو أطلق عليهم الرصاص وأربع ماتوا في السجن .. وسيدة رفضت المحاكمة فسحقوها أسفل الصخور دون محاكمة ..

وكما ولد الجنون فجأة .. اختفى فجأة .. فعندما جاء الخريف انتهت هستيريا صيد الساحرات

كادت المذبحة أن تنتهي .. لكن التاريخ لا يرحم ولا ينسى والقاتل أبداً لا يد مقتول

وتظل الأيام تعيد إلى أذهان القرويين الكثير ... لكن السؤال الذي سيظل بلا إجابة هو.. كيف يستبد الجنون بقرية بأكملها !!؟ وكيف اجتروا هذه القرى !!؟ لا أحد يعرف .. " التاريخ ليس قصاً لما حدث بل هو ما نتذكره وكيف نحييه ولأى جهة ننحيز " كثير من أبطال الحكايات القروية مغوار وهو في الأصل كادهم الشرقاوى ووليم تل .. مجرد لص حيكت حوله الأساطير ..

مضت الأيام وظهر "حسام" على الساحة بعد غياب .. عاد ليحصل على خبر هز كيان عالمه لكنه كان ثابت الجأش مكشراً في تحد صارم كأنه كان يعلم بما حدث لأمه لكنه لسبب ما لم يستطع التدخل ..

يقمض عينيه بكل إنكسار ويفتحهما لتسيل دموع بشرية ساخنة على وجنتيه عزاء على من فقدوا بلمح البصر.. من قتلها هو غريم لا يستطيع ان يقهره .. الموت .. نعم الموت عند البشر هو الذى قتل أمه البشرية التى أحبها ..

احب طبيبتها .. وأحب مرحها وحنوها وخوفها عليه .. كانت له بمثابة روحاً .. فهى إنسية .. لم تكن مثله .. قلبه لم يكن كقلوبنا .. لكنه ينبض مثلاً ..



لم يكن "حسام" أو لثقل "زين" أو كلاهما في كيان واحد ككلب "زاهية" نصف تكوين .. كان من كون آخر له قوانينه وموت البشر قانون لا يطبق عليه .. هو كائن طفيل يعيش في أرحام نساء البشر وإن لم تكن هذه هي القاعدة .. فهم أيضاً يتناسلون ..

لكنهم كالنحل لهم أنواع ... والكائن المتكون داخل مجتمع البشر مميز كملكات النحل .. لأنه يكتسب من ذلك أشياء مضافة .. والحذر كل الحذر من أشياء .. لو اكتسبها دمرته ...

أحب تلك الإنسية التي نما في بطنها حياً جنونياً واعتزته دهشة ممزوجة بالحزن إلى درجة أن فكر بإفناء نفسه على طريقة قومه عندما شاهد يالبيت كل شيء تركته الإنسية بعد موتها .. الحزن عندهم أيضاً غير وارد .. فهو من طبائع البشر .. وهو ما لا يجب أن يتسلل إليه أبداً

لم يعد يستطيع البقاء بين هذه الجدران التي احتوتها حياة بطولها والتي احتفظت بالذرة من روحها ومن نفسها هم بالمضى إلى عشيرته فهو الآن على اعتاب أن يكون "زين" فقط وليس "حسام"

ولكن ما أن وصل إلى الباب حتى مر بالمرأة الضخمة إلى جانبه !

تلك المرأة التي وضعتها الأم هناك لتلقى عليه نظرها بين الحين والحين لتعرف أهو "حسام" أم تحول إلى "زين" أم مزيج بين الإثنين .. كانت صورته في المرأة هي التي تخبرها .. فعندما يكون في حالة "زين" لا تظهر له صورة في مرايا البشر .. وإن كان مزيجاً ظهرت صورته باهتة ..

وقف لوقت قصير أمام المرأة التي كانت قد عكست صورته في كثير من الأحيان .. حتى أيقن من احتفاظ المرأة لصورة تلك الإنسية التي كان يناديه أمه ... ظل واقفاً أمامها طويلاً



ارتجف وعيناه ثابتتان على المرأة المستوية العميقة الفارغة من صورته هو بينما أظهرت روح الإنسية "هاجر" والتي حوتها كلها واستحوذت عليها تماماً مثلما استحوذت عليه قيما مضى .

شعر بحبه وتوقيره لتلك المرأة التي لم تكن تخضع لقوانين جنسه .. أخذ يتلمس صورتها بيده

كانت باردة كالموت مؤلمة لقلبه محرقة ليد .. مروعة لإحساس ليس من شئمة جنسه البشع الذى لا يعانى من آلام كهذه الآلام أبداً .. ما أسعد ذلك الكائن إن وجد ما يتنسى قلبه كل شئ

إنطلق بعد ذلك نحو مقبرتها .. قبرها بسيط ليس له شاهد .. مجرد حفنة من تراب .. بكى بكاء البشر .. تلك الإنسية التي أحبت "زاي" وناضلت فأحضرت قلبه وحملت "زين" فى أحشائها ثم ربهت إيناً .. وتحملت شظف العيش .. ثم ماتت غيلة وغرست تحت التراب .

بكى "زين" وأن أنيناً حزيناً كالشجر .. نحيب ممض وجيبته إلى الأرض ... وقف هناك لوقت طويل وبدأت ستر الظلام تقترب رويداً رويداً واستحوذت عليه رغبة يانسة .. رغب أن يقضى ليلته يبكى فوق القبر ولكنه ليس بشراً ليفعل مثلهم .. العاطفة لديهم شئ آخر

قال: ما أصغر دنياهم مقارنة بدنينا التي تعيش فيها .. وداعاً أيها الأموات .. وداعاً أيها الإنسية التي عانت من أجلى .. ليتك كنت منا .. لم يكن أحد ليجرو أن يمسسك .. ويمنحك موتاً وفتاء

ها هو يجلس أمام المقبرة حيث الأرض المهملة وشجيرات الشوك القاتمة .. يالها من حديقة حزينة .. وحده هناك على الثرى .. جائئاً تحت شجرة كانت أيضاً ميتة جرداء ... خبا نفسه وسط أغصانها المتشعبة الداكنة وتدثر بحلقة الظلام ..

وأنت الإنسية الأخرى ... "رجاء" .. دلها قلبها أن الحبيب قد عاد إلى مئوى أمه الأخير



تابعت مسيرها إليه بسرعة الخطى تصطدم قدميها بالصخور ولما تبينت محياه في الظلام ... هرولت إليه .. عيونها دامعة ويدها ممدودتان ... يد منها كان بها مخلبه الذى أعطاها إياه بحلمهما الجميل ..

تتلمس طريقها كالعميان تتحسس طريقها فى لهفة ... تتخطى الحجارة والصخور الداوية ... تقرأ الدرب إلى حبيبها بأصابعها وأطراف أقدامها .. وكأنها تخشى ألا تعثر عليه ..

لم تكن الليلة مقمرة وزدتها الكأبة ظلمة .. تعثرت .. وقعت أرضاً .. طار المخلب من يدها ..

صرخ "زين" صرخة ألم دفين .. ضغط صدره بقوة يديه .. تأكدت "رجاء" أن المخلب جزء منه .. أسرعت والتقطته .. كان المخلب يومض وميضاً متقطعاً كأنه قلب يلفظ أنفاسه ..

احتضنته براحتيها .. ضمته إلى صدرها .. أحست به ينبض فى إطمئنان كولد لجأ إلى صدر أمه ..

ارتعد قلبها حنواً فى تلك اللحظة تلك الرعدة الواقعة من أم .. وجلست على الأرض تلهث ... لم تعد تقوى على السير أكثر .. أحست ركبتيها ضعيفتين لا تقويان على حملها ..

استطاعت أن تسمع ضربات قلبها بوضوح ... وسمعت شيئا آخر أيضا .. ماذا؟ .. إنه صوت ضجيج غامض مضطرب ... ترى هل كان ذلك الضجيج فى راسها أم مصدره شيء آخر فى الظلام الحالك ... أم تحت الأرض حيث المجهول ؟ تلفتت تبحث عن حبيبها .. راحت تنظر حولها

لم يكن موجوداً .. شلت قدرتها من فرط الدعر والبرد والخوف ... لم يبق لها سوى الصراخ أو الموت.



وفجأة بدت لها أن الأرض التي تجلس عليها تتحرك وكأن صخورها كانت ترتفع مزيجة التراب من فوقها

قفزت واقفة وشاهدت بوضوح حجراً وهو يرتفع للأعلى في الهواء ... بعد ذلك ظهر الميت يرفع الحجر الذي يغطيه بظهره المنحني .. عظام نخرة يكسوها بعض اللحم المتهدل ..

شاهدت ذلك بوضوح كامل مع أن تلك الليلة كانت حالكة الظلام وإستطاعت أن تتبين ملامح الشيخ الذي خرج من الأرض .. كانت تشبه "هاجر" .. لكن لا يمكن أن تكون هي .. الميتون لا يعودون .. هو شيء تمثل في صورتها بالتاكيد ..

قال هذا الشيء بصوت مبحوح وكأنه شرخ السنين : "زين" ... "المخلب" ... عمرك أصبح عندنا وداخلك جزء منا .. فاحفظيه ..

كلمات متعثرة كأن أحداً يتكلم بغير لغة ألفها رقد الشيخ مرة أخرى على الثرى وسعى التراب إليه ليعيد دفنه .. أفاق رجاء وكان غفوة كانت قد طالتها

ألقي بصيص ضوء القمر المستتر خلف الغيوم ظلاً لما خلفها .. أدارت وجهها إليه الليل مازال في منتصفه وعيونها تنظر إليه وكلها دموع .

احتفظ بشيء من الهدوء .. حدق في وجهها وأمطرها وداً .. ابتسم ساكناً .. كلماته تعثرت .. يريد أن يشرح لها .. قال : نست "حسام" الذي تعرفين الآن .. أنا "زين" ..

هل يتابع حديثه عن الكون الواسع ومافيه من مجرات هل ستصدق كلامه ؟ وإن صدقت فهل ستعيه ؟ هيهات أن يكون له هذا ..



نظر بعينه المغرورقتين إلى المكان الذى احتوى الجسد الذى بنى نفسه داخله يوماً .. ارتكز
راكعا يكتب بإصبعه حروف واضحة : هنا يرقد جسد عزيز أفنيت روحه غداً .. قتلوها سعداء
وتمنوا ألا تموت سريعاً ليستطيعوا تعذيبها

قوم يغشون ويسلبون ويظلمون لا يعرفون إلا ما يمليه عليهم خيالهم يستملحون السوء
يعبدون البغض .. يرون الباطل حق ..

انتصب "زين" وفقاً دون حراك بعد أن انتهى من الكتابة .. التفتت رجاء حولها فوجدت الأرض
قبوراً مفتوحة انبثق منها الموتى وراحوا يطمسون ما كتبه زين على التراب .. لما وصفه به
أقرباؤهم واستبدلوا تلك السطور بما يؤمنون به .

جميعهم كانوا مؤذيين غشاشين منافقين كذابين وأشرارا .. كانوا يسرقون ويخدعون ويقومون
بكل عمل شنيع هؤلاء هم أهل القرية .. هؤلاء هن الزوجات الغير مخلصات .. هؤلاء هم الأبناء
الغير بررة .. هؤلاء هن الفتيات الغير عفيفات .. هؤلاء هم التجار الغير الشرفاء كلهم كانوا
يكتبون أن العذاب مقرهم الأبدى الحق إلى قيام الساعة .. لكنهم يبيعون زوراً وكذباً

تلك هى الحقيقة المخيفة والمقدسة التى يجهلها الجميع أو يتظاهرون باتهم يجهلونها عندما
كانوا على قيد الحياة .. ما يرونه حق كان الباطل بعينه .. وما زال الزمن قيد دار البطلان ..

ما زالت الأحداث تفتح وتبرز من الأرض .. عالم يفوق عدده كل توقع .. قام الميتون من غير
الزمان يسعون .. رخامات القبور التى تحمل هوية المتوفى مذيلة باسمه كانت تبرز أولاً ..

وبالقرب منها صعدت من الأرض رخامة قرأت فيها اسمها "رجاء المنياوى" ركضت إليها و
الخوف يملأها .. متأكدة هى أن وهماً مجنوناً يحيط بالمكان فهى ما زالت حية لم تمت ..

قرأت على لافتة قبرها الرخامية عبارة تقول : أحبت وحملت سر الحياة وماتت بعد أن أسلمت
حياتها واحتفظت بروحها للعلم الأبدى .. "رجاء هاجر"



فى اللحظات الأولى من الصباح بدأ "زين" فى السيطرة على "حسام" فبأنهى وجوده و يظهر جلياً .. وسط الحشود الهامسة .. تغير شكله كثيراً لم تستطع "رجاء" أن تبين ملامحه .. لكنه لم يكن أبداً "حسام" قال صارخاً فيهم هيا أبناء الليل ألا إنطلقوا ..

عشروا عليها فى اليوم التالى عند الفجر مستلقية على القبر ومغمى عليها .. كان من الطبيعى أن يقتلونها شر قتلة .. لكنهم لم يفعلوا .. فلم يستطيعوا ..

وفى ضواحي القرية .. كان الهلع يسود .. فقد دخلت المسوخ البيوت لتنفيذ الحكم الذى أصدره الأمير "زين" فيهم ... كل من له مظلمة من وجهة نظره عند البشر ذهب ليأخذ منهم حقه

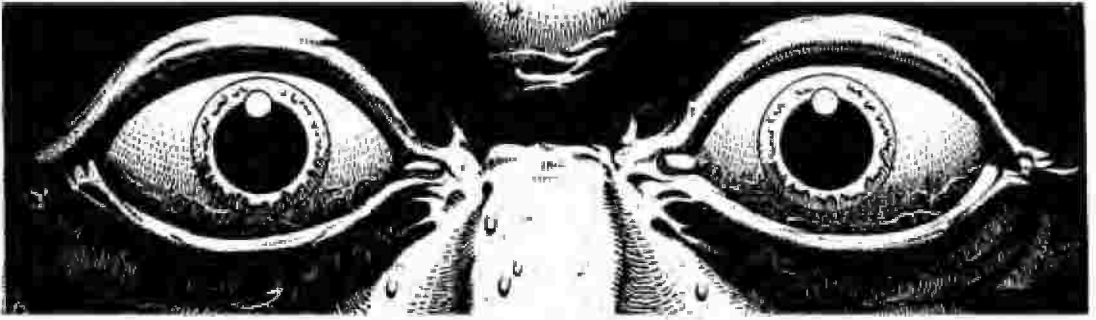
و"زين" نراه يسير وسطهم رافعاً رأسه فى هدوء .. يشاهد المجزرة مطبقاً فمه فى صمت وهو سبب حصولهم على هذا الحكم ..

هرولت "رجاء" تسير وسط أهل القرية السكارى .. الذين أخذوا يرددون همساً إنها ساحرة وأنه ساحر.. لأقبل لنا بهم .. و"زين" يتفقد الأمر لا يهتز لحظة ولا يتدخل

فهذا هدموا بيته ومددوه على الأرض ونزعوا عنه ملابسه ليضعوا على صدره أطلال المنزل ليموت تحتها وهذا شرعوا فى إلقاء الحجارة الضخمة فوقه .. وهذا يجبرونه على أن يزدرد النقود فى معدته حتى يخر صريعاً ..

وأخريضغط أسفل الصخور الثقيلة .. حتى ينسحق جسده تماماً .. على مرأى من الأهالى وسمعهم

لم يتوقف أهل القرية عن الهمس وهم يشاهدون ذلك المشهد أمامهم وأجساد الناس أسفل الأثقال المتزايدة على صدورهم العارية حتى أن بعضهم أقل بصرخ طالباً أن يسرعوا فى وضع الصخور الثقيلة ليسرعوا من موته وينتهى عذابه



تلك الأحداث التي قال من رآها فيما بعد باليوم الرهيب .. وقال من لم يحضرها أسطورة الأولين المجائين .. فمعظمهم تلوث عقله يهذى بما لا يصدق وفى النهاية نسى الجميع الحكاية برمتها .. ولتمض الحياة كما كانت ..

فرد "زين" جناحين برزا من شق فتح فى ظهره .. حمل "رجاء" بيد وشق بها عنان السماء لترى القرية من عل والتيران تشتعل هنا وهناك من بيوتها ..

قال لها : لقد استحقوا هذا المصير .. الغد ليس ما يظنونوه فاعلين هيا لقد أصبحت منا ولك شرف أن تكونى رفيقتى وحاملة لسلالة الأمراء ..

سنرحل إلى النجم بحثاً عن الحلم والأمل .. القمر والليل وصباح الشمس الهاربة من جديلتها قبل أن تستعيد فتوتها فتتخلص من بكاء الروح لتنضم للرفاق فى المهجع فوق السحاب

استعادت الحلم الذى اخترق جمجمتها .. وفى عينيها ألف استفهام .. حاول التخلص من أسنلتها قال ودعى حياة مرت واستقبلت أفضل منها .. أدار وجهه نحو اليمين ثم الشمال .. لكن ما قاله لم يهزم قلقها ولم يتسها واقع اليم .

حتى الطبيعة تألمت وفاض حزنها ولوت الأشجار أغصانها فى ذاك اليوم الذى استعاد اللون القرمزى

أخذ "زين" يرسم طريقه إلى عالم فوق سحاب تلك الجبال الوعرة المسالك التي تتناثر فيها الحجارة السوداء .. قائمة تفضى إرتفاعاتها إلى إنحدارات ومضائق .. جبال عرف هو كنهها الممرات والكهوف التي اختبأ فيها قلب "زاي" ووطنها أقدام "هاجر" .. زمن لا حدود له .. ليل لا نهاية لعتمته

فتح بيده الخالية جزء من صدره وقال هيا ضعي المخلب حتى يكتمل واقعى فقد آن الأوان .. أخرجت المخلب من تلابيبها وشدت عليه قبضتها .. ثم أقلتته فوق أول نار عبرا عندها ..

صرخ "زين" وتفتت جسده فى الهواء .. وهوت المسكينة من وسط السحاب .. إغماءة الخوف أغابت الوعى عنها .. لتجد نفسها على سريرها .. تعاني آلام الوضع .. لكن صورتها تغيرت

كانت "هاجر" وليست "رجاء المنياوى" من ترقد على السرير ..

تمت